الأدلة القواطع والبراهين

في

إبطال أصول الملحدين

لفضيلة الشيخ العَلامة

عبد الرَّحمن بن ناصر السعدي

حقَّقَه، وعلَّقَ عليه

أبو عبد الرَّحمن

عراقي حامد

الباحث في علوم الشريعة الإسلامية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:70-71].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

openkandil.com

أمَّا بَعْدُ:

فالإلحادُ: مَذْهَبٌ فَلْسَفِيٌّ يَقُوم عَلى فِكرة عَدَمِيَّة، أساسُها: إِنْكارُ وُجُودِ الله الخَالق ﷻ، فَيَدَّعِي المُلْحِدون بأنَّ الكونَ وُجِد بِلَا خَالِقٍ، وأنَّ المَادَّةَ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، وهي الخَالِقُ والمَخلوقُ في نَفْسِ الوَقتِ، وأنَّ مُعْجِزَاتِ الأَنْبياءِ مِمَّا لا يَقْبَلُه العِلمُ، وكذلك لا يَعترفون بأيَّة مَفَاهِيم أَخْلَاقيَّة، ولَا بِقِيَم الحَقِّ والعَدْلِ.

ولِذَا، فإنَّ التَّاريخَ عِند المُلْحِدين هُو صُورةٌ للجَرَائم، والحَمَاقَات، وخَيْبَة الأَمَل، والإِنْسَانَ مُجَرَّدُ مَادَّةٍ تُطَبَّق عَليه كَافَّة قَوَانِين الطَّبِيعَةِ.

وغَيْر ذَلِك مِن أَفْكَار هَذَا المَذْهَبِ الخَبِيثِ، والكُفْرِ الصَّرِيحِ الشَّنِيعِ.

ومِمَّا لَا شَكَّ فيه أنَّ كَثيرًا مِن دُول العَالَم الغَربي والشرقي تُعَانِي مِن نَزعة إِلْحَادِيَّة عَارِمة جَسَّدتها الشُّيوعية المُنْهَارة، والعِلْمَانية المُخَادِعة.

ونظرًا لاختلاطِ الشُّعُوب المُسْلِمة بِهَؤلاءِ المُلْحِدين، وخَاصَّة بعد التَّقَدُّم العِلْمي الهَائل في وَسَائل الاتِّصَالات، الَّذي جَعَلَ العَالَمَ كُلَّه كَقَريةٍ صَغِيرةٍ- فَقَد تَأَثَّرَت بعضُ بِلَادِ المُسْلِمين بظَاهِرَة الإلحادِ، وبدأت تُطِلُّ بِرَأْسِها بين شَبَابِ الأُمَّة، والعِيَاذُ باللهِ.

وقد أردتُ أن أُسهم في وَأْدِ هذه الظَّاهرة، وتَبْيين عَوَارِها، مُحَاوِلًا رَدَّ الشَّباب التَّائه المُعَذَّب إلى ما خَلَقهم الله ﷻ مِن أجلِه، وإلى الدِّين الحَقِّ الذي رَضِيه جَلَّ وعَلَا لِعِبَاده- فقمتُ بِتَحقيق هذا الكِتَاب القَيِّم: «**الأَدِلَّة القَوَاطِع والبَرَاهين في إِبْطال أُصول المُلْحِدين**» للعَلَّامة عبد الرحمن السَّعْدي رَحِمَهُ اللهُ؛ لِأَنَّنِي وجدتُه مُوفِيًا بالغَرضِ، مَلِيئًا بالدُّرر؛ قد قَضَى على الإلحادِ، ونَسَفَه من

جَمِيع الوجوه، ولم يُبْقِ لِصَاحب شُبهة وَجْهًا في شُبهته؛ فَجَزَاه اللهُ جَلَّ في عُلَاه خَيْر الجَزَاء عن الإسلامِ والمُسْلِمين.

وَكَان مَنْهجي في تَحقيقِ هذا الكتاب النافع المبارك:

1- مُقَابلة الكتاب على أفضل نُسْخَتين مَطبوعتين وقفتُ عليهما للكتاب، وهما نُسخة مُؤسسة الرِّسَالة ودار الرُّشد، ونُسخة مَكتبة المَعارف.

2- مُرَاجعة الكتاب مُراجعة لُغويَّة دِقيقة، وذلك بِعَمَل فِقْرَاتٍ له، وإِخْضَاعه لِعَلَامات التَّرقِيم، وتَشْكيل ما يُشْكِل منه، مَع زِيَادة الاهتمامِ بتشكيل مَتْن الحَديثِ، وتَمْييزه بِخَطٍّ سَمِيك، ثُمَّ تَنسيق الكتاب تَنْسِيقا يُسَهِّل الاستفادة منه، ويُبْرز ما احْتَوى عليه مِن فَوَائِد ودُرَر ومَسَائل.

3- إِثْبَات الآياتِ القُرآنية بالرَّسم العُثْمَاني، وعَزْوها إلى مَوَاضعها في المُصحف الشَّريف.

4- تَخريج الأَحَاديث مِن كُتُب السُّنَّة ذات التَّرقِيمَات المَشهورة والمُعتمدة؛ كَتَرْقيم مُحَمَّد فؤاد عبد البَاقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك بذكر رَقَمِه.

5- عَزو نُقُولاتِه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي أَكْثَر مِن النَّقل عنه- إلى مَصَادرها من كتبه.

6- تَعريف مُوجَز للأَعْلَامِ الوَارِدة في الكِتَاب.

7- إِضَافة عُنْوَانات للوجوه التي ذَكَرها المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وذَلك بَين مُعْقُوفات؛ لإظهار ما اشتملت عليه هذه الوجوه من معانٍ، لِيَسْهُل على القَارئ الوصُول إلى بُغيته.

8- إيراد بعضِ التَّعْلِيقات والفَوَائد المُهِمَّة اللازمة لإبراز المَعْنى المُرَاد، وتَقْريبه للفَهْم.

9- عَمَلُ تَرْجَمة مُختصرة للعلَّامة السَّعْدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

واللهُ مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلى سَوَاء السَّبيل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

أبو عبد الرَّحمن

عراقي حامد

الباحث في علوم الشريعة الإسلامية

obeikandl.com

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو العَلَّامةُ الرَّبَّانيُّ الوَرِعُ، الفَقِيهُ، الأُصُوليُّ، المُفسِّر، المُحَقِّق المُدَقِّق، حاملُ لواء السُّنَّة، وقامع البدعة، الشَّيْخُ: أبو عبد الله، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.

مولده:

وُلِد في عنيزة في القصيم في الثَّاني عشر من مُحرَّم سنة ألفٍ وثلاثِ مئةٍ وسبعٍ من هجرة النبي ﷺ.

وتُوفِّيَتْ والدتُهُ سنة 1310هـ، وله مِن العُمُر أَرْبَع سِنين، وتُوفِّي والده سنة 1313هـ، ولَهُ سَبْع سَنِين.

نشأته:

مع أن الشَّيخ نشأ يتيمًا إلا أنه نشأ نَشْأَةً صَالِحَةً، واشْتهر مُنذ حَدَاثَتِه بِفِطْنَته، وذَكَائِه، ورَغْبَته الشَّديدة في طَلَب العِلم وتَحْصِيله؛ فَحِفَظ القرآنَ عَن ظَهْر قَلْبٍ، وعُمْرُه أَحَدَ عَشَر سَنة، ثُمَّ اشْتغل بالعِلم على يدِ عُلَمَاء بلدِه، فاجتهدَ في طَلَب العِلم، وجَدَّ فِيه، وسَهِر الليالي، وَوَاصَلَ الأَيَّامَ حتَّى نَالَ الحَظَّ الأَوْفَرَ مِن كُلِّ فَنٍّ

مِن فُنُون العِلْم، ولَمَّا بَلَغَ مِن العُمر ثَلَاثًا وعِشْرين سَنة جَلَسَ للتَّدريسِ، فكان يَتَعَلَّمُ ويُعلِّمُ.

۞ مشايخه:

لَقد تَلَقَّى الشيخُ أنواعَ العُلوم على كَثير مِن العُلماء؛ بعضهم من عنيزة، وبَعضهم من الوَافِدين إليها، وبعضهم رَحَل إليهم في بلادهم، ونَذكر منهم:

1- الشَّيخ مُحمَّد العبد الكريم الشِّبل: قرأ عليه في الفِقْه، وعلوم العربيَّة، وغيرهما.

2- الشَّيخ عبد الله بن عائض.. وهما أوَّل مشايخه.

3- الشَّيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، في عنيزة وبريدة.

4- الشَّيخ علي بن ناصر أبو وادي.

5- الشَّيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي.

6- الشَّيخ صالح بن عثمان (قاضي عنيزة)، قرأ عليه في التَّوحيد والتَّفسير والفقه؛ أصولِهِ وفروعِهِ، وعلوم العربيَّة، وهو أكثر مَنْ قرأ عليه رَحِمَهُ اللَّهُ، ولازَمَه ملازمةً تامَّةً حتَّى تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ.

7- الشَّيخ محمد ابن الشَّيخ عبد العزيز المُحَمَّد المَانع (مدير المَعارف في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) في ذلك الوقت.

۞ مكانته العلميَّة:

كان الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذا معرفةٍ فائقةٍ بالفقهِ وأصولِهِ، وكان أعظم اشتغالِهِ وانتفاعِهِ بكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القَيِّم، وحَصَل له خيرٌ كثيرٌ بسببهما في عِلْم الأُصُول والتَّوحيد، والتَّفسير، ولغته، وغيرها من العُلُوم النَّافعة.

obeikandl.com

وله اليدُ الطُّولى في علم التَّفْسير، إِذْ قرأ عدَّة تفاسير، وبرع فيه، وألَّف تفسيرًا جليلًا في عدَّة مُجلَّداتٍ، فَسَّره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقتٌ لتصنيفِ كتابِ تفسيرٍ.

تلاميذه:

تتلمذ على الشَّيخ السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تلامذةٌ كُثُر؛ نذكر من أشهرهم على سبيل المثال:

1- الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو الَّذي خَلَفه في التَّدْريس والإفتاء في الجامع الكبير في عنيزة.

2- الشَّيخ العلَّامة عبد الله بن عبد العزيز عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربيَّة السَّعوديَّة.

3- الشَّيخ العلَّامة عبد الله بن عبد الرَّحمن البسام رَحِمَهُ اللَّهُ، عضو هيئة التَّمْييز بالمنطقة الغربيَّة.

4- الشَّيخ محمد بن عثمان القاضي (ابن أستاذ الشَّيخ السعدي رحمهم الله).

5- الشَّيخ عبد العزيز بن محمد السلمان رَحِمَهُ اللَّهُ، المُدرِّس بمعهد إمام الدَّعوة بالرِّياض.

6- الشَّيخ عبد الله بن محمد المطرودي، ويحفظ «صحيح البخاري» بأسانيدِهِ.

7- الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن بن محمد البسام، وهو النَّائب عن شيخِهِ في حياتِهِ في الإمامة والخطابة.

obeikandi.com

8- الشَّيخ إبراهيم المحمد العمود، تَقلَّب في عدَّة مناصب قضائيَّة، آخرها قضاء المنطقة الشَّرقيَّة.

9- الشَّيخ عبد الله الخضيري، قاضي بلدة عفيف، ثمَّ مُدرِّس بمعهد المدينة المنوَّرة.

10- الشَّيخ عبد الرَّحمن المحمد المقوش، قاضي الرِّياض، ثمَّ أُحِيل إلى التَّقاعد.

وهناك أعدادٌ كثيرةٌ دَرَستْ عليه، وَانْتفعَتْ به ومن علمِهِ ومنهجه وسُلوكِهِ في مجالاتٍ مختلفةٍ ومُتعدِّدةٍ.

۞ ثناء العلماء على العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ممَّا يدلُّ على مكانة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ما قيل عنه من قِبَل أهل العِلم المُعَاصِرين واللَّاحقين له، مِمَّنْ وقفوا على سيرتِهِ، ونَهَلوا من علمِهِ، وقرؤوا مُصنَّفاتِهِ، وتَتبَّعوا مُؤلَّفاته وكُتُبه، وسمعوا من فتواه أو خالطوه، **ومن تلك الأقوال**:

1- **قال سَمَاحَةُ الشَّيخ عبد العَزيز بن بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ عنه**: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِير الفِقه والعِنَاية بِمَعرفة الرَّاجح مِن المَسَائل الخِلَافية بالدَّليل، وكان عَظيم العِنَاية بِكُتب شَيخ الإسلامِ ابنِ تَيمية، وتِلميذه العَلَّامة ابن القَيِّم، وكان يُرَجِّح ما قَامَ عليه الدَّلَيل.

وكان قَلِيل الكَلَام إِلَّا فِيما يَترتبُ عليه فَائدة، جَالَسْتُه غَير مَرَّة في مَكَّة والرِّيَاض، وكان كلامُه قَلِيلًا إِلَّا في مَسَائل العِلم، وكان مُتَوَاضِعًا حَسَن الخُلُق، ومَن قَرَأَ كُتَبه عَرَفَ فَضْلَه وعِلْمَه وعِنَايته بالدَّليل، فَرَحِمَه اللهُ رحمةً واسعةً».

2- **قَال الشَّيخُ العَلَّامة مُحَمَّد بن صَالِح العُثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الرَّجُلَ قَلَّ أن

يُوجد مِثله في عَصْره في عِبَادَتِه وعِلْمِه وأَخْلَاقه، حيث كان يُعَامل كُلًّا مِن الصَّغير والكَبير بِحَسب ما يَليق بحالِه، ويَتفقد الفُقراء، فيُوصِّل إليهم ما يَسُدُّ حَاجتهم بنفسِه، وكان صَبُورًا عَلى مَا يلِمُّ به مِن أَذى النَّاس، وكان يُحِبُّ العُذر مِمَّن حَصَلت منه هَفْوَة».

3- **قال الشَّيخُ العلَّامةُ ابن مانع** رَحِمَهُ اللَّهُ **عنه**: «كان عالم عَصْرِنا، وعَلَّامة مِصْرِنا».

4- **قال الشَّيخُ العلَّامة عبد الرَّزَّاق العَفيفي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمِنَ العلماء في هذا العصر كثيرٌ، ولكن قلَّ منهم مَنْ يَسْتقي الحُكْم من مَنْبعه، ويُسْنده إلى أصلِهِ، ويُتْبع القول العمل، ويَتحرَّى الصَّواب في كلِّ ما يأتي ويَذَر، وإنَّ من ذلك القليل فيما أعتقد: الشَّيخ الجليل عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ».

﴿ مؤلفاته:

كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ ذا عنايةٍ بالغةٍ بالتَّأليف، فَألَّف ما يَرْبو على السِّتِّين مُؤلَّفًا في أنواع العُلوم الشَّرعيَّة، نذكر منها:

1- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المَنَّان.

2- تَيسير اللَّطِيف المَنَّان، خُلَاصة تفسير القُرآن.

3- القَوَاعد الحِسَان المُتعلقة بتفسير القُرآن.

4- شَرْح عُمدة الأَحْكَام.

5- بَهجة قُلوب الأَبرار، وقُرَّة عُيون الأَخيار في شَرح جَوَامع الأَخْبَار.

6- أُصول العَقَائد الدِّينية.

7- التَّوضيح والبَيَان لِشَجرة الإِيمَان.

8- سُؤال وجَوَاب في أَهَمِّ المُهمات، (تَعليم أُصول الإيمان، وبَيَان مَوَانع الإيمان).

9- رِسالة في الحَثِّ على اجتماع كَلمة المُسلمين، وذَمِّ التَّفَرُّق والاختلاف.

10- الأَدِلَّة القَوَاطع والبَرَاهين في إِبْطَال أُصول المُلحدين. وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، والذي قمتُ بتحقيقِه.

11- التَّنبيهات اللَّطِيفة فيما احْتوَتْ عليه العَقيدة الوَاسِطِيَّة مِن المَبَاحث المَنيفة.

12- تَوْضِيح الكَافِية الشَّافية في الانتصارِ للفِرقة النَّاجِية.

13- إِرْشَاد أُولي البَصَائر والألباب لِنَيل الفِقه بأقربِ الطُّرق، وأَيْسَر الأَسْبَاب بطريقٍ مُرَتَّب على السُّؤال والجَوَاب.

14- مَنهج السَّالكين، وتَوضيح الفِقه في الدِّين.

15- نُور البَصَائرِ والأَلْبَاب في أَحْكام العِبَادات والمُعَاملات والحُقوق والآدابِ.

16- الفَوَاكِه الشَّهِية في الخُطب المِنْبَرية.

28- الفَتَاوى السَّعْدِيَّة.

۞ وفاته:

بعد عُمرٍ دَامَ تِسْعًا وسِتِّين سنةً قَضَاهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ في التَّعلُّم والتَّعْلِيم والتَّأليف وخِدمة الأُمَّة الإسلاميَّة- وَافَاه أَجَلُه قُرب طُلُوع الفَجْر من لَيْلَة الخَمِيس 23 جُمَادى الآخِرَة عام 1376هـ في مَدينة عُنيزة من بلاد القَصِيم.

واجتمع النَّاسُ للصَّلاةِ عَلَيه في حَشْدٍ عَظِيمٍ، وصُلِّي عليه بعد صَلَاة الظُّهر

في الجَامِع، وأَمَّ النَّاسَ في الصَّلاة أحدُ تلاميذه ونائبُهُ في إِمَامة الجَامع وخَطَابته الشَّيخُ عبد العزيز بن محمد بن سليمان البَسَّام، ودُفِنَ في مقبرة الشهوانية شمالي عُنيزة.

غَفَرَ اللهُ لِشَيْخِنا عَبد الرَّحْمن السَّعْدي، ورَحِمَه، وعَفَا عنه، وأَدْخَله فَسِيحَ جَنَّاتِه، وأَلْحَقَه بِنَبيِّه ﷺ الَّذي عاش ناشرًا لسُنَّته، مُدَافِعًا عَنْها.

مصادر الترجمة:

1- «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوداث السنين» للشيخ/ محمد ابن عثمان القاضي.

2- «علماء نجد خلال ثمان قرون» للشيخ/ عبد الله البسام.

3- «مشاهير علماء نجد وغيرهم» للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشَّيخ.

4- «الشَّيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، رسالة ماجستير، إعداد: د/ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.

5- أثر علامة القصيم/ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيَّار.

6- «حياة الشَّيخ عبد الرحمن السعدي في سطور»/ أحمد القرعاوي.

openkanal.com

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرُور أنفسِنا، وسَيِّئاتِ أعمالِنا؛ مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأشهدُ أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورَسولُه.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلى مُحَمَّد، وعَلَى آلِه وأصحابِه، ومَن تَبِعَهم إلى يَوْم الدِّينِ.

أمَّا بعد:

فَإِنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ رُسَلَه مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ(1)، وجَعَلَهم الهُدَاةَ والأَئِمَّة إِلى كُلِّ عِلْم صَحِيحٍ نَافِعٍ، ودِين صَحِيحٍ، وإِلَى كُلِّ صَلَاحٍ وخَيْرٍ، وخَصَّ مُحَمَّدًا ﷺ بأن جَعَلَه خَاتَمهم وإِمَامَهم(2)، وأَنزل عليه الكِتَابَ

(1) قال الله ﷻ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة:213].

(2) قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب:40].

وأخرج مسلم (172) عن أبي هريرة رضي الله عنه، في قصة الإسراء واجتماع النبي ﷺ بالأنبياء في المسجد =

والحِكمةَ[1]، فِيهما الهُدَى والحَقُّ والنُّورُ، وفِيهما العُلومُ النَّافِعةُ، والحَقائقُ الصَّادقةُ، والأخلاقُ الفَاضِلَةُ.

والأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ والآدابُ العَاليةُ إليهما يَنتهي كُلُّ عِلْمٍ وحَقٍّ وَكَمَالٍ.

وقَد وَضَّح اللهُ ورسولُه فِيهما المَسَائل والدَّلائل والحَقَائق اليَقِينيَّة والبَراهين القَطْعِيَّة؛ فَمَن تَمَسَّك بِهِما، واهْتَدَى بِهِمَا سَعِدَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ، ومَن أَعْرَضَ عَنهما، أو عَارَضَهما ضَلَّ عَن الهُدَى، وشَقِي، ونَالَ الصَّفْقَةَ الخَاسِرَةَ[2].

وأَعْظَمُ النَّاسِ انْحِرَافًا عَنهما مَلَاحِدَةُ الفَلاسفة، وزَنَادقة الدَّهْرِيِّين، وهُم أكبَرُ أعداءِ الرُّسُل في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَان، وهُمْ شِرَارُ الخَلْقِ الدُّعَاة إلى الضَّلَال والشَّقَاء؛ فإنَّهم تَصَدَّوْا لِمُحاربة الأَدْيَان كُلِّها، وزَيَّنَ لَهم الشَّيْطَان عُلُومَهم التي فَرِحُوا بها، واحْتَقَرُوا لأجلِها ما جاءت به الرُّسُل؛ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

=

الأقصى، وفيه، قال رسول الله ﷺ: «... **فَحَانَت الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهم**».

(1) قال الله ﷻ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:151].

وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:164].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:2].

(2) قال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:123-127].

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾

[غافر:83].

وقد أَصَّلُوا لِبَاطِلِهم أُصُولًا يُقَلِّد فيها بعضُهم بَعْضًا، وهِي في غايةِ الفَسَاد، يَكفي اللَّبِيبُ مُجَرَّد تَصَوُّرِها عَن إِقَامة البَرَاهِين عَلى نَقْضِها؛ لِكَونها مُنَاقِضَةً للعَقْل والنَّقْل، ولكنَّهم زَخْرَفُوها ورَوَّجُوها؛ فَانْخَدع بها أكثرُ الخَلْقِ.

أَعْظَمُها عِندهم أَصْلٌ خَبِيثٌ مَنقول عَن مُعَلِّمِهم الأَوَّل «أَرِسْطُو» اليُونَاني المَعروف بالإِلْحَاد، والجَحْد لِرَبِّ العَالَمِين، والكُفر به، وبِكُتُبِه ورُسُلِه[1].

وهَذَا الأَصْلُ الَّذِي تَفَرَّع عنه ضَلَالُهم: أنَّه مَن أَرَادَ الشُّروع في المَعَارف الإِلَهِيَّة فَلْيَمْحُ مِن قَلبِه جَميع العُلوم والاعتقاداتِ، ولْيَسْعَ فِي إِزَالتِها مِن قَلْبِه بِحَسب مَقْدُوره، وَلْيَشُكَّ في الأشياءِ، ثُمَّ لِيَكْتَفِ بِعَقْلِه وخَيَالِه ورَأْيِه.

وكَمَّلُوا هذا الأَصْلَ الخَبِيث بِحَصْرِهم للمَعْلُوماتِ بَالمَحْسُوسَاتِ، ومَا سِوَى مَا أَدْرَكُوه بِحَوَاسِّهم نَفوه.

وهذا أَصْلٌ أَفْسَدَ عَليهم عُلُومَهم، وعُقولَهم، وأَدْيَانَهم.

وقد بَيَّنَ النَّاسُ على اختلافِ نِحَلِهم بُطْلَان أُصُولِهم، وأنَّ أهلَها قد خَالَفوا جَمِيع الرُّسُل وجَمِيع العُقَلاء.

ومِن أَبْلَغِ مِن تكَلَّم عَلَيها، وأَبْطَلَها شَرْعًا وعَقْلًا: شَيْخُ الإسلامِ ابنُ

---

(1) أرسطو(384 ق.م- 322 ق.م): فيلسوفٌ يُونانيٌّ عُرِف باهتمامه بالميتافيزيقا، وبالمنطق.
وقد أَثَّر على العَديد من المَدَارس والنَّظريَّات الفَلسفيَّة إلى اليوم.
وُلِد في مقدونيا، وتوجَّه منذ سنِّه السَّابعة عشرة إلى أثينا كي يتتلمذ على يد أفلاطون، وقد كان ألمع تلامذته.

تَيمية[1]؛ فإنَّه بَيَّن عِدَّةَ وُجوه في فَسَادِها وبُطْلَانِها، كُلُّ وَجْه منها كافٍ في إِبْطَالِها؛ فكَيف إذا اجْتَمَعَت.

فَنَنْقل كَلَامَه عَليها، ثُمَّ نُتَمِّم ذلك بما يُيَسِّرُهُ اللهُ.

قَال رَحِمَهُ اللَّهُ في «نقض التَّأْسِيس»[2] لَمَّا ذَكَر عِن هذا المُعَلِّم المُلْحِد هَذا الأَصْل الخَبِيث: «والكَلَام عَلَى هذا مِن وُجوهٍ:

❁ الوجه الأول: [كلامهم أشبه بكلام الجهلة والضلال]:

أنَّ هَذا الكَلَام هُو وما ذُكِر مَعَهُ مِن الحُجَّة أَشْبَه بِكَلام أهلِ الجَهْل والضَّلَال، ومَن لا يَدْرِي ما يَخرج منه مِنَ المَقَال، مِن كَلَام أهلِ العِلم والعَقْل والبَيَان.

---

(1) هو شيخ الإسلام ابن تيمية، الإمام، المُحَدِّث، الحافظ، النَّاقد، والمُفَسِّر الغَوَّاص في معاني القرآن، المُبَرَّز في العُلوم النَّقلية والعَقلية على كبار المُتخصصين فيها، والآمر بالمعروف النَّاهي عن المُنكر، الزَّاهد، العَابد، المُجاهد، المُظَفَّر في مَيادين القِتال، وفي مَيادين الدِّفاع عن حِياض الإسلام بالحُجَّة والبُرهان، سَيْف الله المَسلول على الفَلاسفة والمُلْحِدين، وعلى الغُلَاة المُبتدعين: تَقِي الدِّين، أبو العَبَّاس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية، الحَرَّاني، نَزيل دِمَشق، صاحب التَّصَانيف التي لم يُسْبَق إلى مثلِها، وُلد يوم الإثنين العاشر من ربيع الأول، بحَرَّان سنة (611هـ)، وتوفي وهو مَسجون بِسِجن القَلعة بدمشق، ليلة الإثنين 20 من شهر ذي القَعْدة سنة (728هـ)، وهَبَّ كُلُّ أهل دِمشق ومَن حولها للصَّلاة عليه، وتَشييع جنازته، وقد أَجْمَعت المَصَادر التي ذَكرت وفاتَه: أنه حَضَر جنازته جُمهورٌ كَبير يَفُوق الوَصف. رَحِمَهُ اللَّهُ، وجَزَاه عن الإسلام والمسلمين خَير الجزاء.

(2) هو المشهور بـ«بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية»، رد فيه على الفخر الرازي صاحب «تأسيس التقديس».

وكما يقول ابن القيم في «القصيدة النونية» (ص 230):

وَكَـذلك التَّأْسِـيسُ أَصْبَـحَ نَقْضُـه ... أُعْجُـوبَةً للعَـالِمِ الرَّبَـانِي

وهُو أَشْبَهُ بِكَلام قُصَّاصِ الجُهَّال، والمُغَالِطِين، مِن كَلام العُلماء والمُجَادِلين بالحَقِّ.

ومَا أَحْسَنَ مَا قال الإمامُ أَحْمد[1] في بِشْر المَرِيسِي[2]: «كَانَ صَاحب

(1) الإمام أحمد بن حنبل(164-241هـ/ 780-855م): هو أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيباني، الذُّهلي، فَقِيه ومُحدِّث، ورابع الأئمة الأربعة في الفقه، وصاحب المذهب الحَنبلي المعروف. اشتُهر بعلمه الغزير، وحفظه القوي، وكان معروفًا بالأخلاق الحَسَنة؛ كالصَّبر، والتَّواضع، والتَّسامح. قال عنه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «خرجتُ مِن بَغداد، وما خَلَّفتُ بها أحدًا أَوْرَع، ولا أَتْقَى، ولا أَفْقه مِن أَحمد ابن حنبل»، ويُعدُّ كتابه «المُسند» من أشهر كُتب الحديثِ، وأوسعِها.

(2) هو بِشر بن غِيَاث بن أبي كَريمة، عبد الرَّحمن المَريسي، العدوي بالولاء، فَقيه مُعتزلي، عَارف بالفَلسفة. أدرك مَجلس أبي حَنيفة، وأخذ نُبَذًا منه، ثم لازمَ أبا يُوسف، وأَخَذ الفِقه عنه، وبَرَع حتى صَارَ من أَخَصِّ أصحابِه، وكان ذا وَرَع وزُهد، غير أنَّه رَغِب عنه الناسُ لاشتهاره بعلم الكلام والفلسفة، وكان أبو يوسف يَذُمُّه، ويُعرض عنه.

والمَريسي: نسبة إلى مَريس قرية بمصر.

وحُكي عنه أقوالًا شَنيعة، ومَذَاهب مُنكرة. وإليه تُنسب الطَّائفة من المُرجئة التي يقال لها: المَريسيَّة.

من تصانيفه: «التوحيد»، و«الإرجاء»، و«الرد على الخوارج»، و«المعرفة».

انظر «الفوائد البهية» (ص54)، و«النجوم الزاهرة» (2/ 228)، و«معجم المؤلفين» (3/ 406)، و«الأعلام» (2/ 27).

وقال الذهبيُّ: «بِشْرُ بن غِيَاث المَرِيسي مبتدع ضَالٌّ، لا يَنبغي أن يُرْوَى عنه، ولا كَرَامَةَ.

تَفَقَّه عَلَى أبي يُوسف؛ فَبَرَعَ، وأَتْقَن عِلْم الكَلام، ثم جَرَّدَ القَول بخلق القُرآن، ونَاظَرَ عليه، ولم يُدْرِك الجَهْم بن صَفْوان، إنَّما أَخَذَ مَقَالته، واحتجَّ لها، ودَعَا إليها، وسَمِع من حَمَّاد بن سَلَمَة، وغيره.

وقَال أبو النَّضر هَاشِم بن القَاسم: «كَان وَالِد بِشْر المَرِيسي يَهُوديًّا قَصَّابًا صَبَّاغًا في سَويقة نَصر بن مَالك».

قلت: وقد كان بِشْرٌ أُخِذ في دولة الرَّشِيد، وأُوذي لأجل مَقَالَتِه.

=

خُطَبٍ، ولَم يَكن صَاحِبَ حُجُجٍ، بَل هذا الكلام دُون كَلَام أَهل الخُطَبِ والحُجج»[1].

﴿ الوجه الثاني: [في آثار الأنبياء والمرسلين غناء عن كلام هؤلاء]:

أن يُقَال: أَلَم يَكُن في آثَارِ الأَنْبياء والمُرسلين مَا يُسْتَغْنَى به فِي أَعْظَم المَطَالب وأَشْرَف المَعَارف عَمَّا يَرْوُون عن مُعَلِّم المُبَدِّلة الصَّابئين الَّذِين انتقلوا عن الحَنِيفيَّة الثَّابتة بالعقل والدِّين، وهو رَأْسُ هَؤلاء الدَّهْرِيَّة[2].

﴿ الوجه الثالث: [أرسطو وذويه في العلم الإلهي أقل الناس نصيبًا في معرفة العلم الإلهي]:

إِنَّ جَمِيعَ العُقَلاء الَّذين خَبروا كَلَام أَرِسْطُو وذَوِيه فِي العِلْم الإِلهِيِّ قَد عَلِموا أَنَّهم أَقَلُّ النَّاسِ نَصِيبًا في مَعرفة العِلم الإلهيِّ، وأَكْثَرُ اضطرابًا وضَلَالًا؛ فإنَّ كلامَه وكَلامَ ذَوِيه في الحِسَاب والعَدَد ونَحوه من الرِّيَاضِيَّات مِثل كلامِ بقيَّة

=

قال أحمد بن حنبل: «سمعت عبد الرَّحمن بن مَهدي أيَّام صُنِع ب-«بِشر» ما صُنِع يَقول: مَن زَعَم أنَّ اللهَ لم يُكَلِّم مُوسى يُستتاب؛ فإن تَاب وإِلَّا ضُرِبت عُنُقُه».

وقال قُتَيبة بن سَعِيد: «بِشْر المَرِيسي كَافِرٌ».

وقال أبو زُرعة الرَّازِي: «بِشر المَريسي زِنْدِيقٌ».

وقال الخَطِيبُ: «حُكي عنه أَقْوالٌ شَنيعة، أساء أهلُ العِلم قولَهم فِيه، وكَفَّره أكثرُهم لأجلِها».

مات سنة ثمان عشرة ومئتين». اهـ من «ميزان الاعتدال» (1/ 322، 323) بتصرف يسير واختصار.

(1) «سير أعلام النبلاء» (10/ 202).

(2) يقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: أرسطو.

النَّاس، والغَلط في ذَلك قَلِيلٌ نَادِرٌ، وكَلَامهم في الطَّبيعيَّات دُون ذلك، وكَلَامهم في ذلك غَالِبُه حَقٌّ، وفِيه بَاطِلٌ، وأمَّا كَلَامُهم في الإلهيَّات فَفِي غَايَةِ الاضطرابِ، ومَع قِلَّتِه كَثِير الضَّلَال عَظِيم المَشَقَّة، وهَذا أَمْرٌ يَعرفُه كُلُّ مَن له نَظَرٌ صَحِيحٌ في العُلوم الإلهيَّة.

فَلا يُستدلُّ بِكَلامِ هَؤلاء في العِلم الإلَهيِّ، وحَالهم هَذه الحَال!

وقد اعترفَ أَسَاطينُ الفَلسفة بأنَّ العِلم الإلهيَّ لا سَبِيلَ لهم إلى العِلم واليَقِين فيه، وإنَّما يُؤخذ فيه بالأَوْلَى والأَخْلق والأَحْرَى فيه، فإذا كانُوا مُعترفين بأنَّهم لَيس عِنْدَهم عِلْمٌ، ولا يَقِين في العِلم الإلهيِّ؛ كَيف يُسْتَدَلُّ بِكَلامِهم فيه؟!

❁ الوجه الرابع: [فساد قوله: «فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»؟]:

مَا مَعنى قولِه: «فَلْيَسْتَحْدِثْ لِنَفْسِه فِطْرة أُخرى»؟

والفِطْرَة: هِي الخِلْقَةُ الَّتِي فَطَرَ اللهُ عِبَاده عليها[1]، أَتُرِيد أن تُبَدِّل خِلْقَتَه، ومَا فِيها من قُوى الإِدْرَاك والحَرَكة؟!

فهذا غَيرُ مَقدور للبَشر؛ فإنَّ اللهَ فَطَر عِبَادَه عليها، أَم تُرِيد أن يَترك ما فُطِر عليه مِن المَعارف والعُلوم، ويَستحدث لِنَفسه مَعَارِفَ تُخَالفُ ذلك.

وهذا هو الذي يَصلح أن تُرِيدَه؛ فهذا أَمْرٌ بتبديل فِطرة الله التي فَطَرَ عِبَاده عليها، وهِي طَرِيقة المُبتدعين المُبَدِّلَة لِفِطْرة الله وشِرْعَتِه، كما قال ﷺ: «**كُلُّ**

(1) قال الله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:30].

مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَة...»[1]، فَأهلُ الكِتاب المُنَزَّل بَدَّلُوا وحَرَّفوا مِن كِتَاب الله ما بَدَّلُوه وحَرَّفُوه[2]، وهُم مَعَ الصَّابِئةِ والمُشْرِكين القَائِمين بالنَّظَرِ العَقْلي بَدَّلوا مِن فِطْرة الله الَّتِي فَطَرَ العِبَاد عَلَيها، وغَيَّرُوا مِنها مَا غَيَّروا.

ولهذا قِيل: إِنَّ أَرِسْطُو هذا بَدَّل طَرِيقَةَ الصَّابِئة الَّذين كَانُوا قَبله مُؤْمِنين بالله واليَوم الآخِر الَّذين أَثْنَى عَليهم القُرآنُ[3].

واللهُ سُبحانه خَلَقَ عِبَاده عَلَى الفِطْرة التي فَطَرَهم عليها، وبَعَث إليهم رُسُلَه، وأَنْزَل عَليهم كُتُبَه، فَصَلاحُ العِبَاد وقِوَامُهم بالفِطرة المُكَمِّلَة بالشِّرْعَة المُنَزَّلَة.

---

(1) أخرجه البخاري (1385)، ومسلم (2658) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**كُلُّ مَولودٍ يُولدُ عَلى الفِطْرَة؛ فَأَبَواه يُهَوِّدَانَه، أو يُنَصِّرَانه، أو يُمَجِّسَانه؛ كَمَثَل البَهِيمَةِ تُنتِج البهيمةَ، هَل تَرَى فيها جَدْعَاءَ؟!**». والفِطرة: هي مِلةُ الإسلام، وطَريقته. وقوله: «**يُهَوِّدَانَه، أو يُنَصِّرَانه، أو يُمَجِّسَانه**» أي: يجعلانه يهوديًّا، أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا حسب مِلَّتهما بترغيبهما له في ذلك، أو بتبعيته لهما. وقوله: «**تُنتِج البهيمةَ**» أي: تلد الدابة كاملة. و «**الجَدْعَاء**»: مَقطوعة الأُذُن، أو الأَنْف، أو غير ذلك. أي: إنَّ النَّاس يَفعلون بها ذلك، فكذلك يَفعلون بالمَولود الذي يُولد على الفطرة السليمة.

(2) وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:75].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء:46].

وقال جل وعلا: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:13].

وقال جل جلاله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:41].

(3) يشير رحمه الله إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:62].

وهُؤلاء بَدَّلُوا وغَيَّرُوا فِطْرَةَ الله وشِرْعَتَه -خَلْقه وأَمْره- وأَفْسَدُوا اعْتِقَادَات النَّاس وإِرَادَتهم -إِدْرَاكهم وحَرَكَاتهم، قَوْلهم وعَمَلهم- مِن هَذَا وهَذَا، كَما بَدَّل بَنُو إِسْرَائِيل القَوْلَ الَّذي أُمِرُوا به، والعَمَل الَّذي أُمِرُوا بِهِ»[1].

قال:

❁ الوجه الخامس: [وجوب التصديق بما أخبرت به الرسل عليهم السلام]:

«إنَّ الرَّسُولَ إذا أَخْبَرَنا بشيءٍ مِن صِفَاتِ الله وَجَبَ عَلينا التَّصْدِيقُ بِهِ، وإن لَم نَعلم ثُبُوتَه بِعُقولنا، ومَن لَم يُقِرَّ بما جَاء به الرَّسُولُ حتى يَعْلَمَه بعَقْلِه، فقد أَشْبَه الَّذين قَالَ اللهُ فِيهم: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام:124].

ومَنْ سَلَكَ هذا السَّبيلَ فَهو في الحَقِيقة غَيْر مُؤْمِن بالرَّسُولِ، ولَا مُتَلَق عنه الأَخْبَار بِشَأْنِ الرَّبُوبيَّة، ولا فَرق عِنده أن يُخْبِر الرَّسُولُ بِشيءٍ مِن ذَلك، أَوْ لَم يُخْبِر به، فَإِنَّ مَا أَخْبَر به إِذَا لم يَعْلَمْه بِعَقْلِه لَا يُصَدِّق بِهِ». انتهى كلامه رحمه الله[2].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة:59].

(2) انظر «العقيدة الأصفهانية» (ص 28)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ.

الوجه السادس: [الوصية باستحداث فطرة أخرى مخالفة لما بعث الله به رسله]:

أن يُقال: هَذه الوَصِيَّة مُخَالِفَة لِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَه، وأَنْزل كُتُبَه، فإنَّه بَعَثَ رُسُلَه مُذَكِّرين للعِبَاد مَا فُطِرُوا عليه مِن الإِقْرار بِوَحْدَانيَّة الله، وَوُجوب شُكر نِعَمِه، وافْتِرَاض الحُبِّ الكَامِل والتَّعْظِيم التَّام لله المُتَفَضِّل بالنِّعَم الظَّاهرة والبَاطنة، ومُذَكِّرين لهم بالأمرِ بِمَا فُطِرَت العُقولُ عَلَى اسْتِحْسَانه؛ كَالصِّدْق، والبِرِّ، والإِحْسَانِ، والأَخْلَاق الجَمِيلة، وبالنَّهْي عَمَّا فُطِرَت العُقول على اسْتِقْبَاحه مِن الكَذِب، والظُّلْم، والعُدْوَان، وجَمِيع الأَخْلَاق الرَّذِيلة؛ فَكيف يُؤْمَرُ النَّاسُ أَن يَمْحُوا مِن قُلُوبهم وفِطَرِهم هَذه الأُمُور؟

وهَل هذا إِلَّا نَهْيٌ عَن جَمِيع مَوَادِّ السَّعَادة والفَلَاح والصَّلَاح، وأَمْر بِكُلِّ مُنْكَر وفَحْشَاء وسُوء وشَر وفَسَاد؟

وفي هَذا مِن تَقْوِيضِ دَعَائِم الخَيْرِ والصَّلَاح والاسْتِبْدَال بِهَا أُصُول الشَّرِّ والفَسَاد والفَوْضَى في العُلُوم والعَقَائد والأَخْلَاق مَا لَا مُنْتَهَى لِشَرِّه وضَرَره.

الوجه السابع: [وصية أرسطو تتضمن محو العلوم والمعارف والإيمان]:

أن يُقَال: هَذه الوَصِيَّةُ تَتَضَمَّن مَحْو العُلوم الصَّحِيحة والمَعَارف النَّافِعة والإِيمَان الصَّحِيح، والاستبدال عَن ذلك بِأَنْواعِ الجَهَالات والضَّلَالات والغَي، ورَفْض الإيمان بالكُلِيَّة، فإنَّ الإنسانَ في الأصلِ خُلِقَ ظَلُومًا جَهُولًا[1]، لَيْسَ فِيه

(1) قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا =

هُدى، ولا عِلم صَحِيح، ولا بُرهان ويَقين في المَطَالب العَالِية المَقصودة إلَّا مِن جِهَة الطُّرُق التي بَعَثَ اللهُ بِهَا رُسُلَه، وأَنْزَل بها كُتُبَه.

ولِهَذا كانت النُّبوةُ يَضطر إليها المُكَلَّفُون أَعْظَم مِن ضَرُورتهم إلى الطَّعَام والشَّرَاب، وما بِه قِوَام حَيَاتهم المَادِيَّة؛ فالعِلم والهُدَى الإِجْمَالي والتَّفْصِيلي هُو

=

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:72].

وقد سُئِل العَلَّامةُ الشَّيخ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن الأمانة في هذه الآية، ولماذا كان الإنسانُ ظَلُومًا جَهولًا بحملِه الأمانةِ؟ ومَا هو مَعنى الآية إجمالًا؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «**الأَمَانة**: هي تَحَمُّل المَسئولية في العِبَادات التي أَمَر اللهُ بها، ورسوله، وفي اجتناب المُحَرَّماتِ التي نَهَى اللهُ عنها ورسولُه. هذه هي الأمانة.

وأداؤها: أن نقوم بذلك على الوجهِ الأَكمل، ولمَّا كانت السَّمَاواتُ والأرضُ والجِبالُ لم يَكن لها من العَقل والإدراك مِثلما للإنسانِ صَار المُتَحَمِّل لها الإنسان بِمَا أَعْطَاه الله تعالى من العَقل والتَّفكير والتَّمييز، وبما أنزلَ اللهُ عليه مِن الكُتُب، وأَرْسَل إليه مِن الرُّسل؛ فإنَّ الإنسانَ قَد قَامت عليه الحُجَّةُ بعقلِه، وبالوَحي الذي أَنْزَله اللهُ إليه.

وعَلى هذا؛ فإنَّ الإنسانَ بتحَمُّلِه هذه الأمانةِ كان ظَلُومًا جَهولًا؛ لِجَهله بما يَترتبُ على هذا التَّحَمُّل، ولِظُلمه نفسه بتَحَمُّلِها، وهذا باعتبارِ الإنسانِ مِن حيث هو الإنسانُ، أمَّا إذا كان مُؤمنًا، فإنَّه يُزيل عن نفسِه هذا الوصف؛ لأنَّه سَوف يَهتدي بالوحي؛ فيَكون عَالِمًا، وسَوف يَتَّقِي اللهَ ﷻ؛ فيكون غيرَ ظَالِم لنفسِه، فالإنسان في الآية الكريمة من حيثُ هُو إنسانٌ.

على أن بَعض المُفَسِّرين قال: إنَّ المُراد بالإنسان: هو الكَافر.

ولكن ظَاهر الآيةِ العُموم، وأنَّ الإنسانَ من حيث هو إنسانٌ ظَلُوم جهولٌ، ولو وُكِل إلى نفسِه لكان ظَالِمًا جَاهِلًا، ولكنَّ اللهَ تَعالى مَنَّ عليه بالهُدى والتُّقى؛ فانْتَشَلَ نفسَه مِن هَذين الوَصْفَين الذَّمِيمين: الظُّلم والجَهل، إذا كان مُؤمنًا». «فتاوى نور على الدرب» (5/ 2).

وهذا لا يدلُّ على أنَّ فِطرةَ اللهِ هي الظُّلم والجَهْل، وإنَّما هَذان الوصفان مِن شأنِ الطَّبَائع البَشَرية المَذْمُومة التي لِحَقَت الإنسانَ بعد التَّكليف (حَمْل الأمانة)، وأمَّا الفِطرة التي فَطر اللهُ النَّاسَ عليها، فالمقصود بها: توحيدُ الله ﷻ. فهذا شيءٌ، وذاك شيءٌ، ولا تَعَارُضَ بين هذه النُّصوص. والله المُوفِّق.

هُدَى الله، فَلا يَلِيق بِرَحمة الله وحِكْمَته وحَمْده أن يَترك العِباد مُهْمَلين سُدًى بِلَا رِسَالةٍ وتَعريفٍ لَهُم مَا يُصْلِحُهم حَالًا ومَآلًا[1]؛ فَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وأَنْزَلَ الكُتُبَ حِكمة منه ورَحمة؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:165][2]، فَيَقُولوا: مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ ولا نَذِيرٌ[3].

فَجَمِيعُ الهُدَى والعُلُوم النَّافِعة المَوجودة في الأرضِ، والمَعارف النَّافِعَة، والإيمان الصَّحِيح، وتَوَابع ذلك مِن آثَار النُّبوَّة والرِّسَالة: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:164].

فَمَن تَمَسَّكَ بِوَصيَّةِ هذا المُلْحِدِ الضَّالِّ[4] فقد أَمَرَ بِمَحْو ما جاءت به الكُتُبُ، وأُرْسِلَت به الرُّسُل، وأن يَستبدل بذلك وَسَاوِس النُّفُوس، وَوَحْي الشَّيْطَان.

فَهذه الوَصِيَّةُ البَاطِلَة مَقْصُودها الأَعْظَم: جَحْدُ ما جَاءت به الرُّسُل، وأَهْلُها أَحَقُّ النَّاسِ بالدُّخُول تحت قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون:115، 116].

(2) والآية بتمامها: قال الله ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:165].

(3) قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة:19].

(4) يقصد أرسطو الفيلسوفَ الذي تقدَّم التَّعريفُ به.

وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ الآية [غافر: 70، 71][1].

﴿ الوجه الثامن: [بطلان القول باستحداث وصية أخرى]:

أن يُقَال: هَذَا الكَلَامُ بَاطِلٌ شَرْعًا وعَقْلًا[2].

أمَّا الشَّرْعُ فَجَميع الكُتُب المُنَزَّلَة مِنِ السَّمَاء، وجَمِيع الرُّسُل جَاءت بتقريرِ مَا وَضَعَ اللهُ في فِطَرِ الخَلْق مِن الاعترافِ بِوَحْدَانِيَّة الله، وكَمَاله المُتَنَوِّع، وصِدْقه وصِدْق رُسُلِه، وتَقْرير الحَقِّ، والحَقَائِق النَّافِعَة في القُلُوب اعتقادًا وتَخَلُّقًا وتَصديقًا ودَعوة إليها وهِدَاية لها من جَمِيع الوُجوهِ.

ومِن المَعْلُومِ أنَّ هَذِه الوَصِيَّةِ البَاطِلَة مُنَافِيَة لِذَلك غَايَةَ المُنَافَاة، مَادَّة للجَهَالَاتِ البَسِيطة والمُرَكَّبَة، وأَنْوَاع الضَّلَالاتِ، ودَاعِية إلى الشَّقَاء فِي الدُّنيا والآخِرَة.

ودَلالةُ الشَّرَائع عَلى هَذَا الأمرِ أَعْظَمُ وأَوْضَحُ مِن أن تُفْصَل، بَل هَذَا رُوحُ الشَّرَائع السَّمَاويَّة، والشَّرَائع النَّبَوِيَّة.

---

(1) والآيات بتمامها: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [غافر: 70 - 76].

(2) يُشير إلى استحداثِ فِطرة أُخرى غَير التي فَطَر اللهُ الخَلْقَ عليها.

وأمَّا العَقلُ فإنَّ أَهْلَ العُقول الصَّحِيحة مُتَّفِقُون على أنَّ أَفْضَلَ المَغَانِم والمَكَاسِب مَا كَسَبَتْه القُلُوب، وحَصَّلَته مِن العُلوم الصَّحِيحة، والمَعَارف النَّافِعة، والإيمان الصَّادِق، والأَخْلَاق العَالِية الَّتِي مَنِ اتَّصَفَ بِهَا صَارَ مِن عِلْيَةِ الخَلْقِ، وأَكْمَلِهم، وأَرْفَعِهم دَرَجَة ومَقامًا.

فَمَنْ أَوْصَى بِتَركِ ذَلك، وَمَحْوه مِن القُلُوب، والحَث على الشَّكِّ، والتَّشْكِيك؛ فَقَد جَاء لِأَهْلِ العُقول بِمَا لَا يَعْرِفُونه، بَل يُنْكِرُونه أَشَدَّ الإِنْكَارِ، ويَرَوْنَه مِن فَظَائِعِ المُنْكَرَات، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:32]؟

وَمَاذَا بَعْدَ العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ إِلَّا العَقَائدُ البَاطِلَةُ؟

ومَاذا بَعْدَ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ إِلَّا الأَخْلَاقُ الرَّذِيلَةُ السَّافِلَةُ؟

ومَاذَا بَعد الرُّشْدِ إِلَّا الغَيُّ والفَسَادُ؟

❁ الوجه التاسع: [عودة هذا الأصل إلى محو ما في القلوب من كل علم]:

أَنْ يُقَال: هذا الأَصْلُ الخَبِيثُ يعود إلى تَسَلْسُل مَحْو ما يقع في القُلُوب من كلِّ علمٍ صحيحٍ وفاسدٍ، ومن كلِّ معرفةٍ حاصلةٍ في القلب، فهو أعظمُ مِعْولٍ لهَدْم العُلُوم كلِّها؛ لأنَّ لازمَ ذلك يُوجِب ألَّا يثبت في القُلوبِ شيءٌ من العُلُوم الصَّحيحةِ، بل لا تزال الشُّكُوك والمكابرات تنفي ما يقع في القُلوب حتَّى تنحلَّ العُلُومُ وتنحلَّ الأخلاقُ، ويتدرَّج بذلك إلى مذهب الإباحيَّة والانطلاق في الفوضى، وأغراض النُّفُوس الخَبيثة الضَّارَّة، ولا يَبْقى دُون ذلك مَانِعٌ عِلميٌّ، ولا مانعٌ خُلُقيٌّ، وهذا أعظمُ مِعْولٍ للشُّيوعيَّة المُفْسِدة للدِّين والدُّنيا، وبِهذِهِ الطَّريقة فَشَا الإلحادُ.

الوجه العاشر: [أيهما أولى؟]:

أَنْ يُقَال على وجهِ التَّنزُّل: أيُّما أَوْلَى؟ مَحْو ما يقع في القُلُوب، وما اتَّصفَتْ به من الاعتقاداتِ الصَّحيحةِ النَّاشئةِ عمَّا جَاءتْ به الرُّسُل، ونَزلَتْ به الكُتُب، ثُمَّ بعد ذلك يُوجِّهه صاحبُهُ -بزعمه- إلى طلب الحقائق من غيرِ أساسٍ صحيحٍ يبني عليه، ولا معارفَ نافعةٍ يعتمد عليها؟ وقَدْ علم ما يَرِد على القُلُوب الفارغة السَّاذجة الخالية من كلِّ شيءٍ من أنواع الوساوس والخيالات الفاسدة والضَّلَالات المُتنوِّعة، وأنَّها عند انطلاقها من الحقِّ الصَّحيح اعتقادًا وتَخلُّقًا تأتي بالغرائبِ المزعجةِ والخيالاتِ المُضْحكةِ، أي: هذه الحالة الَّتي لا يَرْتضيها مَنْ له مُسْكةٌ من عقلٍ.

وحالةُ قلبٍ ملآن من العُلُومِ الصَّحيحةِ[1]، والمعارفِ النَّافعةِ، والإيمان الصَّادقِ القويِّ، المُسْتمدِّ من مَعِينِ الرِّسالةِ، ومِنْ هَدْي اللهِ الَّذي هَدَى به الخَلْق، وفيه من الفُرْقانِ بَيْن الحقِّ والباطلِ والهُدَى والضَّلالِ ما يُميِّز به الحقائق إذا وَجَّهه صاحبُهُ إلى طلبِ الحقائقِ والحقِّ من أبوابِها، واستخراج المعارفِ من طُرُقها، فهذا القلبُ السَّليم عنده من اليقينِ والنُّورِ ما يهتدي به إلى المطالبِ العاليةِ.

فمَنْ سوَّى بَيْن الحَالَتين والقَلْبَيْن فَلْيَبكِ على ذَهَاب عَقْلِهِ بعد ذهاب دينِهِ!

فالعُلُوم الَّتي لَها أساسٌ قويٌّ تعتمد عليه، ولَها براهينُ قطعيَّةٌ تستمدُّ منها وتَهتدي بِها، وصاحبها عنده من الأُصُول ما يُفرِّق به بَيْن الحقِّ والباطل، هي الَّتي يعتبرها أُولو الألباب، ويُنَافسون في تحصيلها، ويَرَوْن إدراكها أجلَّ نعمةٍ

(1) أي: هذه الحالة مُقَابِلة للحالة الأولى، وهي حالة القَلب الخَالي من الاعتقاداتِ الصَّحيحةِ التي جَاءتْ بها الرُّسُل، المَذكورة في الفقرة السَّابقة .

أَنْعم الله بِها عليهم، وهؤلاء المُلْحِدُون يُوصُون بتَرْكها ومَحْوها من القُلُوب، حتَّى يَلِجَ الباطلُ فيها من غير مُعَارضٍ يُعَارِضُه من العلمِ واليقينِ والإيمانِ.

فالعُلومُ والمعارفُ والأدلَّة والبراهين مُحَالٌ أن تكون صحيحةً نافعةً حتَّى تَسْتَنِير بنُورِ الوَحْي وبُرْهانِ الحَقِيقة، وتَبَنِّي عُلُومها وأَعْمَالها على الإيمَانِ.

﴿ الوجه الحادي عشر: [معاندة الملحدين لله أعظم معاندة]:

إنَّ هؤلاء يُعَانِدُون اللهَ ورسولهَ أَعْظَم مُعَاندةٍ؛ فالله يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة:136].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف:13].

وفي الصَّحيح أنَّه ﷺ قال لِمَنْ قَالَ لَه: قُلْ لِي في الإِسْلَام قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنه أَحَدًا بَعْدَك. قال: «**قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[1]، أي: عَلَى الإيمَان.

وهؤلاء المُلْحِدُون يقولون: امْحُوا هذه الأُصُولَ والعَقَائِدَ -الَّتي لا أصحَّ منها، ولا أَنْفَعَ، ولا يُسْعِد العَبدَ غيرُها- من قُلُوبكم، وشُكُّوا لِتَسْتَحدثوا عُلومًا وعقائدَ جديدةً تَجِيش بِها القُلُوبُ المُنحرفة، والآراء الفاسدة، والضَّمائر الَّتي أعرضَتْ عن الحقِّ وعَارَضته، وتَوجَّهتْ إلى الباطل، وهذا لا ريبَ أنَّه مُشاقَّةٌ ومحاربةٌ لله ورُسُله.

---

(1) أخرجه مسلم (38) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

﴿ الوجه الثاني عشر: [محو العلوم الصحيحة من القلوب غير ممكن]:

إنَّ مَحْو العُلُوم الصَّحيحة والعقائد الحقَّة من القُلُوب، وطلب الشَّكِّ فيها مُحَالٌ غير ممكنٍ، ومَنْ حاول ذلك فهو مكابرٌ، فالحقائقُ الصَّحيحة المَبنيَّة على البراهين الحقَّة الواضحة لا يُمْكِنُ إزالتُها مِن القُلُوب بوجهٍ؛ لأنَّ الحقَّ إذا تَمَّتْ معرفتُه، احْتَلَّ القُلوبَ، وثَبَتَ فيها واستقرَّ، وصَارَت له السَّيْطرةُ على كلِّ باطلٍ، وزَهَقَ البَاطلُ عند مُقَابلته؛ ولهذا قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:14]، وقال: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:102]، وقال عن اليهود: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:146]، وقال عن كُفَّار المشركين: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:33].

فهؤلاء المُلْحِدُون إنَّما غَرَضُهم الوَحِيد صَدُّ النَّاس عَمَّا جاءت به الرُّسُلُ، ومَقاومة ذلك بكلِّ طريقٍ، فرأوا هذا طريقًا رَاجَ على الأَغْمَار[1] وضُعَفَاء البَصَائر: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:46].

أمَّا أُولُو البَصَائر والأَلْبَاب فإنَّهم يَسْعون لإزالة ما وَقَع ويَقَعُ في القُلُوب من الشُّبُهات والشَّهَوات المُعَارِضَة للحقِّ، فإنَّ الشُّبهاتِ والشَّهواتِ الوَارِدَة على القُلُوب تُضْعِف عِلْمَها ويَقِينَها وإيمانَها.

---

(1) **الأغمار**: جمع الغَمْر -بسكون الميم، وضمها- أي: الذي لم يُجرِّب الأمور. انظر «مختار الصحاح»، مادة (غمر).

ودَوَاء ذلك: أن يُقَابِل بالعِلم الصَّحِيح والبَرَاهين الصَّادقة، فإنَّ الشُّكُوك لا ثُبُوت لَها عند ذلك؛ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد:17].

وكذلك إزالةُ ما يَقَعُ في القُلُوب من الشَّهَوات والأغراض الفاسدة الَّتي يُقدِّمها صاحبُها على الحَقِّ، والتَّعصُّب للمَقَالات بغير مُستندٍ صحيحٍ، فَدَوَاءُ ذلك بتوجيهِ القلبِ لِقَصْد الحقِّ الصِّرْف، والإخلاص لله، وقُوَّة الرَّغْبة فيما عند الله، وتقديمه على هَوى النُّفُوس.

فهذا هو المَطْلَبُ الصَّحيح لكلِّ مُوفَّقٍ: أن يَكُون فَطِنًا في إدراك الحَقِّ، وفي نَفْي الشُّبهات المُنَافية له، وأَنْ يَكُون حَسَن القَصْد في تَرْجِيح ما يُرجِّحُه الدَّليلُ الصَّحِيحُ مِنَ المَقَالَاتِ.

❁ الوجه الثالث عشر: [المقصود من هذا الأصل: الكفر والانحلال]:

إنَّ المَقْصُودَ الأَعْظَم مِن تَأْصِيلِ هذا الأصلِ الخَبِيث: الكفرُ بِما جاءت به الرُّسُل، والانحلال عنه، وإلَّا فأهلُهُ من أكذبِ النَّاس، فإنَّهم مُتمسِّكون غايةَ التَّمسُّك بِما عليه أئمَّتهم الملحدون، وأقوالهم وعقائدهم مُقدَّمةٌ عندهم على ما جاءت به الرُّسُل، ويَتعصَّبون لَها غايةَ التَّعصُّب، فلو كانوا صَادِقين مُحقِّين لَوجَبَ عليهم أن يَمْحُو من قُلُوبِهم أَقْوَال أئمَّتهم وعَقَائدهم الَّتي ما زَالُوا مُتمسِّكين بِها، ومُقلِّدين لَها تَقْلِيدًا أَعْمَى.

فالغَرَضُ مِن كَلامِهم مَعْرُوفٌ، وهو قَصْدهم الانحلال من الدِّين الصَّحِيح، والتَّمسُّك بأقوالِ هؤلاءِ الضَّالِّين.

❁ الوجه الرابع عشر: [الله لا يحب الجهل، ولا الشك]:

قال الشَّيخُ[1]: «ومن المعلوم أنَّ اللهَ لا يحبُّ الجهلَ، ولا الشَّكَّ، ولا الحيرةَ، ولا الضَّلالَ، وإنَّما يحبُّ الدِّينَ والعِلْمَ واليَقِينَ، وقَدْ ذمَّ الحَيْرةَ بقوله: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام:71].

وقَدْ أَمَرَنا أن نَسْتَهْدِيَه الصِّراط المُسْتَقِيم[2]، المُتضمِّن للعلم بالحقِّ، والعمل به، والقرآنُ هو الشِّفاء والهدى والنُّور[3].

والشَّكُّ والحَيْرة ليست مَحْمُودةً باتِّفاق المسلمين.

وغاية ما يَكُون: أَنَّ مَنْ لَمْ يكن عنده علمٌ بالشَّيء- فالواجبُ عليه أن يَسْكُتَ، ويَطْلُب العِلم من طُرُقه.

وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُون الشَّاكُّون المُشكِّكون الَّذين يأمرون النَّاس بمَحْو الحقِّ

---

(1) مُرَاد العَلَّامة السَّعْدي رَحِمَهُ اللَّهُ بـ«الشَّيخ» في هذا الكتاب: هو شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(2) وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:6، 7].

(3) قال الله تَعَالَى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء:82]، وقال جل جلاله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة:2]، وقال تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤ ﴾ [النساء:174]، وقال جل في علاه: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ ﴾ [الأعراف:157].

الَّذي في القُلُوب؛ لتتوجَّه القُلُوبُ إلى غيره، مُخَالِفُون للكِتَاب والسُّنَّة، ولإجماع العُقَلاء المُعتَبرين، متابعون لأئمَّتهم الضَّالِّين». انتهى[1].

❁ الوجه الخامس عشر: [الحق يمحق الباطل]:

إنَّه لو فُرِض وقُدِّر أنَّ الإنسان يَمْحُو من قلبِهِ كلَّ عقيدةٍ، ويَصِيرُ القَلْبُ خَاليًا مِن الحَقِّ والبَاطِل، ثُمَّ يَزِن بِعَقْلِهِ المُسْتَقِيم العقائدَ الصَّحيحةَ النَّافعةَ الَّتي جاءت بِها الرُّسُلُ- بِما يُضادُّها من العقائدِ الأُخر، ويزنُها بِحَقٍّ وعَدْلٍ وإِنْصَافٍ وفَهْمٍ صَحيحٍ، فإنَّه يَظهر له الفَرْقُ العظيم، ويَتَّضح له أنَّ مَنْ سَوَّى بَيْن ما جاءت به الرُّسُل وبَيْن غيره كالمُسوِّي بَيْن اللَّيل والنَّهار، والضِّياء والظُّلْمة، فكيف بمَنْ فَضَّل الإِلْحَادَ على دِين ربِّ العباد؟! فإنَّ الحقَّ بطبيعتِهِ وبراهينِهِ يَمْحَقُ البَاطِلَ، ولا يَبقى له مَعَهُ قرارٌ.

❁ الوجه السادس عشر: [الأمور اليقينية يستحيل أن تقدح فيها الشبهات]:

إنَّ الأُمُورَ اليَقينيَّةَ والحَقَائقَ الصَّادِقَة يَستحيل أن تَقْدح فيها الشُّبُهات والتَّشْكيكات بوجهٍ من الوُجُوه، وقَدْ علم بالأدلَّة والبَرَاهِين المُتنوِّعة نقلًا وعقلًا وفطرةً أنَّ ما جاءت به الرُّسُل هو الحقُّ واليقينُ والدِّينُ الحقُّ، وبراهين ذلك لا تُحْصى كثرةً وقُوَّةً ووضوحًا.

---

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (5/ 178)، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ-2005م.

obeikandl.com

وقَدْ صُنِّفتِ الكُتُبُ الكِبَارُ والصِّغَارُ من أصناف الطَّوَائف في تحقيقِ صدقِ الرُّسُل، وصِحَّة ما جاؤوا به، وأنَّه الحقُّ والهدى، وأنَّ كل ما نافاه وخالفه إذا قِيسَ به وقرن معه، اضمحلَّ وبطل، ولَمْ يكن له إليه نسبةٌ بوجهٍ من الوُجُوه.

فمتى عَلِم المُنْصفُ ذلك عَرَفَ أنَّه لَيس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال والمُحَال، وأنَّ تَأْصِيلَ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين هذا الأَصْل الفَاسِد مِن أَكْبَر ما يَدُلُّ على فسادِ أَدْيانِهم، وسَفَاهَةِ عُقُولِهم، وسُوءِ مَقَاصِدِهم.

❁ الوجه السابع عشر: [مناط السعادة فيما جاءت به الرسل]:

إنَّ العُلُومَ النَّافِعَةَ الَّتي اتَّفقَ عليها أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وأهلُ الهُدَى مَدَارُها على أمرين:

أحدهما: أن يُعْرَفَ ما أخبرت به الكُتُب السَّماويَّة والرُّسُل عن الله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، والقَدَرِ، وسائر الغُيُوبِ، وما أَخْبَرَتْ بِهِ، وحَكَمتْ به مِن الأحكام الَّتي يَتعبَّدُ المُكلَّفُون بِها، ويَتَعَاملون، ويُعْتَقَدُ ذلك، ويُعْمَلُ به.

الثَّاني: مَعْرِفَةُ بَرَاهين ذلك العقليَّة والسَّمعيَّة والنَّظريَّة، والوُقُوفُ على أسرارها وحِكَمِها.

فهذه العُلُوم النَّافعة الَّتي خَلَق اللهُ لَها الخَلْق، وأُرْسِلت بِها الرُّسُل، وتَتوقَّف السَّعادةُ والفوزُ والفلاحُ عليها، فالسَّعْيُ في إزالتِها من القُلُوب أعظمُ مُعَانَدةً ومُشاقَّةً ومُحَاربةً لله ورُسُله.

وإنَّما المَطْلُوبُ الأَعْلَى حُصُولُها في القُلُوب وثُبوتُها.

فَتَبًّا لطائفةٍ زائغةٍ قَدَّمت مَقَالَاتِ المَلَاحِدَة على كلام اللهِ ورسوله!

﴿ الوجه الثامن عشر: [الرسل جاؤوا لمحق ما ينافي الإيمان]:

إنَّ الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- جاؤوا بِمَحْق ما يقع في القُلُوب مِمَّا يُنَافِي الإيمانَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورُسلِهِ واليومِ الآخِر، وتَوَابِع ذلك، وإزَالة كُلِّ شُبْهَةٍ تَعْرِضُ للقُلُوب، تَقْدَحُ في هذا الأصل، أو تُخِلُّ به- بالبَرَاهين القَاطِعَة الوَاضِحَة؛ ليكون الإيمانُ صَحِيحًا، والقَلْبُ سَلِيمًا من الشُّبهات والشُّكوك والإرَادَات الفَاسِدة.

والقرآن والسُّنَّة مَمْلُوءان من ذلك[1].

---

(1) **مثال ذلك من القرآن**: قول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:60]، الآيات.

وقوله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:77- 81].

ومثال ذلك من السنة: ما أخرجه البخاري (5717)، ومسلم (2220) عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عَدْوَى، ولا صَفَرَ، ولا هَامَةَ!**». فقال أعرابيٌّ: يا رسول الله، فَمَا بَالُ إبِلِي تَكُون في الرَّمْل كأنَّها الظِّبَاء، فَيَأْتِي البَعيرُ الأَجْرَبُ، فَيدخل بَيْنَها فَيُجْرِبُها؟ فقال: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّل؟**».

وهَذا جَوابٌ في غَاية البَلاغة والرَّشَاقَة، فإن قَالُوا: أَعْدَاه آخَرُ، لَزِم التَّسَلْسُلُ، وإنْ قَالُوا: الذي فَعَلَه في الأَوَّلِ هُو الذي فَعَله في الثَّانِي، ثَبَتَ المُدَّعَى، وهو أنَّ فَاعِلَ الجَمِيعِ هُو اللهُ سُبحانه، ومِنْ ثَمَّ قَال ابنُ العَربي: «هَذَا كَلامٌ لا جَوَابَ لَهُ». اهـ «الفجر الساطع على الصحيح الجامع» للشبيهي، تحت =

openkanar.com

وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُونَ يُرِيدُون نَقِيضَ ذلك، فَهُمْ أَئِمَّةُ الكُفْر والجُحُود، حَادُّوا اللهَ ورُسُلَه أعظم مُحَادَّة.

❁ الوجه التاسع عشر: [الإلحاد جحد بقضاء الله وقدره]:

إنَّ من أعظم الأُصُول الَّتي جَاءَت بِها جميعُ الرُّسُل، خُصوصًا خَاتَمهم وإمامهم مُحمَّد ﷺ: الإيمان بالقَضَاء والقَدَر، مع الحثِّ على فِعْل جميع الأسباب النَّافعة في الدِّين والدُّنيا، والكتابُ والسُّنَّةُ مَمْلُوءان مِن ذلك(1).

وأنَّ جميعَ الحَوَادِثِ مَرْبُوطةٌ بِقَضَاءِ الله وقَدَره، ونَوَاصِي العِبَاد بيده، وأنَّه لا حَوْل للعباد ولا قُوَّةَ لهم إلَّا بالله، وأنَّه مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وما لَمْ يشأ لَم يَكُن، وأنَّه لَا يَأْتِي بالحَسَنَاتِ إلَّا الله، ولا يَدْفَع السَّيِّئاتِ إلَّا هو(2)، وأنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ البَاطِنَةِ

=

حديث رقم (5717).

(1) ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:49].

وفي حديث جبريل عليه السلام الذي أخرجه مسلم (8) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: «**الإيمَانُ**: «**أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلَائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه**...».

(2) قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:51].

وقال جل وعلا: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:56].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:39].

وقال جل جلاله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:16].

وأخرج أبو داود (3919) عن عروة بن عامر رضي الله عنه، قال: «ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عِند النبيِّ ﷺ فقال:

=

والظَّاهِرَة كُلها مِن الله[1].

فهذا الأصلُ الكبيرُ قَرَّره الكتابُ والسُّنَّةُ في مواضعَ كثيرةٍ، وهو أصلُ توحيدِ الرُّبوبيَّة، وقَصْد تَقْرِيره في القُلُوب، واعتقاده الكَامل المُثمر لكلِّ خيرٍ.

وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُون يُرِيدون ويُحَاولون مِن الخَلْق أن يَجْحدوا قَضَاء الله وقَدَره، ويعتقدوا أنَّه لا حَاجَةَ إلى الاستعانةِ بِرَبِّ العَالَمِين رَأْسًا؛ لأنَّهم جَحَدُوه، وعَطَّلوا أفعالَه بالكُليَّة، واعتقدوا أنَّ الأفعالَ كُلَّها للطَّبيعة، وكَفَى بقولٍ جَهْلًا وضَلَالًا أن يَصِلَ إلى هذا الحَدِّ الفَظيع.

❁ الوجه العشرون: [حصر الملحدين العلوم في الحواس]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين حَصَروا العُلُوم المُدْرَكَة في دائرةٍ ضَيِّقةٍ، فما أَدْرَكوه بِحَواسِّهم وتَجَاربِهم أثبتوه، وما لَمْ يدركوه بذلك، نَفَوْه وأنكروه، فأنكروا من أجل ذلك عُلُومَ الغيبِ كلَّها، وجحدوا رُبوبيَّة الله وأفعاله، وعَطَّلوه من صفاتِهِ وأفعالِهِ؛ إذْ لَمْ يَدخل ذلك تحت مَدَاركهم القَاصِرَة، وهذا باطلٌ شرعًا وعَقْلًا.

أَمَّا الشَّرْعُ: فجميعُ الكُتُب السَّماويَّة وجَمِيع الرُّسُل تُبْطِلُ قَوْلَهم، وحَصْرَهم العُلُوم بِمُدْرَكَات الحِسِّ الظَّاهِرَة، ونَفْيَهم لِمَا عَدَاها، وتُثْبِتُ بالبَراهينِ اليَقِينيَّة من عُلُوم الغَيْبِ، ومن العُلُوم الَّتي لا تُدْرك إلَّا بالوَحْي مِن الحَقَائِق النَّافعةِ الصَّحِيحةِ والمَعَارفِ الصَّادقةِ مَا لا نِسْبَةَ لعُلُومهم كلِّها إليها مِن أَوَّلها إلى آخرها.

= «أَحْسَنُها الفَأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسلمًا، فَإذا رَأَى أحدُكم مَا يَكْرَه فَلْيَقُل: اللهُمَّ لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلَّا أَنْتَ، ولا يَدفعُ السَّيئاتِ إلَّا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِكَ»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (1619).

(1) قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: 53].

قال الشَّيْخ: «وَهُمْ يَعترفون أنَّ عُلُومَ الأَنْبياء لا يُمكن أن تُوزَن بِميزَان صِنَاعتهم، فأكثرُ الحَقَائقِ النَّافعة يَعترفون أنَّه لا سبيلَ إلى وزنِها بِها، فهي يُوزَن بِها المَتَاع الخَسِيس دون الحقائق النَّافعة والأمر النَّفِيس الَّذي ليس للنُّفُوس عنه عوضٌ، وليس سعادتُها إلَّا فيه.

فَهُمْ لَم يَزِنُوا بالقِسْطَاس المُسْتَقِيم، ولَمْ يستدلُّوا بالآيات البَيِّنات الَّتي هي العُلُوم الحقيقيَّة والحكمة اليقينيَّة الَّتي فاز بالسَّعَادة عالِمُها، وخاب بالشَّقَاوة جاهلُها.

وأَهْلُ المَنْطِق مُتَّفقون على أنَّه لا يُفِيد إلَّا أُمُورًا كُليَّةً مُقدَّرةً في الذِّهْن لا في الخَارِجِ.

والعُلُومُ المَوْرُوثةُ عن الأنبياء أجلُّ وأعظمُ مِن أن يَكُون لَها الْتِفَاتٌ، أو حاجةٌ إلى عِلْمِهم، بل إدخال علمهم في العُلُوم الصَّحيحة يُطوِّل العِبَارة، ويُبْعد الإشارةَ، ويجعلُ القريبَ من العِلم بَعيدًا، واليَسيرَ منه عَسِيرًا، ولا يُفِيد إلَّا كَثْرةَ الكلام والتَّشْقِيق، مع قِلَّة العِلم والتَّحْقيق.

والأُمُور الموجودة المُحقَّقة تُعْلَم بالحِسِّ البَاطنِ والظَّاهرِ، وتُعْلم بالقياسِ التَّمثيليِّ، وتُعْلم بالقياسِ الَّذي ليس فيه قَضيَّةٌ كُليَّةٌ ولا شمولٌ ولا عمومٌ». انتهى[1].

وأمَّا العَقل: فَجَميعُ العُقَلاء المُعتَبرين يُثْبِتُون للعُلُوم مَدَاركَ غَير مَدَارِك الحِسِّ، فإنَّ مَدَارِكَ العُلُوم: الحسُّ، والعقلُ، والأخبارُ الصَّادقةُ، فالأخبارُ الصَّادقة أَعْلَاها وأَصْدَقُها.

---

(1) «مجموع الفتاوى» (9/ 23، 24).

وأَحَقُّها بالحَقِّ: خَبَرُ الله، وخبر رُسُلِه، وفي ذلك تِبيانٌ لكلِّ شيءٍ، وهدى للخلائق، وتوضيحٌ للحقائق، وتنبيهٌ للعُقُول على توجيهها لكلِّ علمٍ نافعٍ[1].

ويَلْزَمُ على قول هَؤُلَاءِ المُلْحِدين: إبطال ذلك كلِّه حتَّى يُدركوه بِحَواسِّهم، وهذا ميراثٌ مُحَقَّقٌ مِن مُكذِّبي الرُّسُل الَّذين رَدُّوا ما جاءت به الرُّسُل بمُجرَّد استبعاداتٍ، وأنكروا ما لَمْ يُحِيطوا به عِلْمًا، وهم لا يَزَالُون يَنقضون دَلِيلهم الَّذي تَمسَّكوا به، فَيُثبتون تَجَارِبَ ونَظريَّاتٍ، ثُمَّ تَحْصُل تَجَارُبُ ونَظريَّاتٌ أُخرى لهم ولِقَوْمِهم تَنْفِي ما أَثْبَتُوه، وتُثْبِت ما نَفَوه، ولا يَزَالُون هَكَذا في أمرٍ مَرِيجٍ حين كَذَّبوا بالحقِّ.

وَقَدْ ذَكَر اللهُ الأسبابَ الَّتي دَعَت أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ إلى تكذيب الحقِّ، وهو الجهلُ بِما لَمْ يُحِيطُوا بعلمه، والتَّبجُّح بِما عندهم من العُلُوم المُخَالفة لعُلُوم الرُّسُل، والكِبْر الَّذي في قُلُوبِهم ما هُمْ ببالغيهِ، وتقليد أئمَّتهم الضَّالِّين، فضعف التَّمْييز، وتقليد أئمَّة المَلَاحِدَة، والإعراض عَمَّا جاءت به الرُّسُلُ من أكبر الأسباب الَّتي مَكَّنتْ هَؤُلَاءِ من لُزُومِ الباطلِ.

❁ الوجه الحادي والعشرون: [معاندة الملحدين لله ورسله]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المَادِّيِّين المُلْحِدين لمَّا سَدُّوا على أَنْفِسِهم بِهذا الأَصْلِ الخَبِيثِ أَكْملَ الطُّرُق المُوصِّلَة للعُلُوم النَّافعة، وأَصَحَّها، وأَهْدَاهَا، وأَقْوَمَها،

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:89].

وقال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:44].

وأَوْضَحَها، وهي العُلُومُ الَّتي جاءتْ بِها الرُّسُلُ، ونَزلَتْ بِها الكُتُبُ السَّماويَّةُ، وفَطَر اللهُ عليها عُقُولَ العِبَاد إلَّا مَنْ فَسَدَت فِطْرَتُهُ بالعَقَائِد الفَاسِدَة، فَسدَّ هَؤُلَاءِ هذا البَاب النَّافِع العَظِيم عَلَى أَنْفِسِهم وأَتْبَاعِهم، وحَصَرُوا عُلُومهم ومَعَارِفَهم في الأسبابِ المادِّيَّة فَقط، وتَوَسَّعوا فيها ومَهَرُوا، واخترعوا، وبَلَغوا حيث انتهت إليه مَعَارِفُهم وأَفْهَامُهم، وانقطعَتْ بذلك صِلَتهم بالله ورُسُله وكُتُبه، وبعُلُوم الرُّسُل، وبالهدايةِ الصَّحِيحَة المُثمرة لِصَلَاح الظَّاهرِ والباطن، وسَعَادة الدُّنيا والآخرة- فَوَقعوا في أَمْرٍ مَرِيجٍ[1]، وتَخبَّطت نَظريَّاتُهم، وكُلَّما اتَّفقوا أو أكثرهم على نظريَّةٍ عن انتظام الأسباب بعضها ببعضٍ، وارتباطها الوثيق حَارُوا في الموادِّ الأوليَّة، وفي سبب الأسباب، فَيَنْقُضُون ما اتَّفقوا عليه، ويُبْطِلُون ما كانوا أَسَّسوه، ولا يَزالون كذلك ما دَامُوا لَمْ يَنفذوا مِن الأَسْبَاب إلى مُسبِّبها، ومن المَخْلُوقات إلى خَالِقِها، فما دَامُوا كذلك فإنَّهم لا يَستطيعون الاستقرارَ على رأيٍ جَامِعٍ لِجَمَاعَتِهم، ومُسْعِدٍ لهم في الدُّنيا والآخرة، ونِهاية ما يصلون إليه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم:7]، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:67]، وتَرَكَهم في طُغْيَانِهم وغَيِّهم وضَلَالِهم يَعْمَهُون[2]، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر:83].

---

(1) أي: مختلط، ومنه قوله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [ق:5].

(2) قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة:15]. أي: يَتَرَدَّدُون مُتَحَيِّرين، لا يميزون حقًّا مِن باطلٍ. وقال بعضُ أهل العلم: العَمَهُ: عَمَى القَلب، والعِلم عند الله تعالى. «أضواء البيان» للشنقيطي (5/ 345).

الوجه الثاني والعشرون: [أصلهم الباطل جرهم إلى إبطال الوحي والمعاد]:

أنَّهم حين أَصَّلوا هَذَا الأَصْلَ البَاطِلَ الَّذي جعلوه مِيزان العُلُوم كلِّها؛ تَجَرَّؤوا جراءةً فظيعةً على تحليلِ حياة الرُّسُل بِنَاءً على هذا الأصل، وتَجَرْهَمُوا[1] بعُقُولهم الفاسدة وعُلُومهم القاصرة إلى القدح بالرُّسُل، وإسقاط مَنْزلتهم من قُلُوب السَّمَّاعين لهم، المُستجيبين لدعوتِهم، حتَّى أبطلوا بذلك الوحيَ والرِّسالةَ والمعادَ، وأنكروا الرَّبَّ تصريحًا وتعريضًا، وتَدرَّجوا بذلك إلى القَدْح في جميع الأديان، ولَمْ يَجْعلوا للرُّسُل ميزةً على غيرهم، بل فَضَّلوا طَوَاغِيتهم وفَلَاسِفَتَهم عليهم.

فَأَصْلٌ هذه آثارُهُ الخبيثةُ، وهذه ثمراتُهُ السُّميَّة المُنْتنة الحَنْظَلِيَّة[2]، كيف يليق بمَنْ له أدنى معقولٍ أن يُصْغي إليه، أو يَبني عليه شيئًا من عُلُومِهِ ومعارِفِهِ، فإنَّه مفسدٌ للأديان والعُلُوم، ومُخبطٌ للأذهان.

فهو أعظمُ أُصُول الغيِّ والضَّلال، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ.

الوجه الثالث والعشرون: العلوم الحسية قطرة من بحر علوم الرسل:

إنَّ العُلُوم المُدْرَكَة بالحِسِّ إذا نُسِبَتْ إلى عُلُوم الرُّسُل -كالعُلُوم المُتعلِّقة بالله، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ، وأحكامِهِ، وأحوال الآخرة، والجزاء على

---

(1) أي: أَقْدَمُوا.

(2) الحنظل: نباتٌ مَعروف، طعمه مُرٌّ، ويُضْرَب به المَثَل في شِدَّة المَرَارة.

الخير والشَّرِّ، وأمور الغيب، والإخبار بِما كَانَ وما يَكُون، ومَا يُسْعِدُ النُّفُوسَ ويُشْقِيها- كانت كَقَطْرَةٍ في بحرٍ لُجيٍّ[1].

فأُمُور الغَيب الَّتي تَتوقَّف على إخبار الرُّسُل ووحي الله وهدايته العامَّة والخاصَّة أَبْطَلَها هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة[2]؛ إِذْ ضَيَّقوا دائرةَ المعلومات جدًّا في مُدْرَكَات حَواسِّهم، فلهذا حَارُوا واضطربوا، ولَمْ يستقرَّ لهم قَرَارٌ على أقوالٍ تَتَّفق عليها آراؤهم؛ لأنَّهم أنكروا العلمَ الحقيقيَّ النَّافع الَّذي يُزكِّي النُّفوس ويُسْعدها، ويُرقِّيها في مَدَارِج الكَمَال.

ومِن المُنْكَر والزُّور: تَخْصيصُهم علومهم القاصرة باسم العِلْم، فحيث أطلقوا «العِلْم» أرادوا به: عُلُوم الفَلْسَفَةِ، وما نَتَجَ عنها، ونَفُوا العِلم عمَّا سواها، وهذا من باب المُكَابَرَات وقلب الحقائق، وإلَّا فالعلمُ الحقيقيُّ الَّذي أَثْنَى الله عليه في كتابه: علوم الرُّسُل، وهداية الوحي الْمُنَزل من عند العليم الخبير[3]، وما سواها فإمَّا علومٌ ضارَّةٌ، وإمَّا قليلةُ النَّفْع، وإمَّا نافعةٌ في أُمُور الدُّنيا دون أُمُور

---

(1) بَحْرٌ لُجِّيٌّ: عَمِيقٌ كَثِيرُ المَاءِ.

(2) أي: أَنْكَرُوها، وقالوا بعدم وُقوعها، وليس المعنى قطعًا: أنهم أبطلوها بالأدلة والبراهين.

(3) ومن ذلك قول ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:1، 2]

وقوله ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:185]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٨﴾ [البقرة:38].

وقوله جل وعلا: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه:123، 124].

الدِّين، وقَدْ نفخت رُوحُ الكِبر في قُلُوب أصحابِها، واحتقروا لأجلها العُلُوم النَّافعة في الدِّين والدُّنيا، فما أضرَّها وأضرَّ ثمراتِها، ونعوذ بالله من علمٍ لا ينفع!

﴿ الوجه الرابع والعشرون: [زعمهم أن الرجوع إلى الماضي رجعية]:

أنَّه عن هذا الأصل الخبيث الباطل حَكَمُوا حُكْمًا فظيعًا باطلًا، وهو أنَّ الرُّجُوعَ إلى الماضي رجعيَّةٌ فاسدةٌ، وأنَّه يجب إهدار كلِّ قديمٍ، وهَجَّنُوا[1] بعباراتِهم المُتنوِّعة كلَّ قديمٍ؛ ليصلوا بذلك للقدح فيما جاءت به الرُّسُل، ونزلت به الكُتُب، وقالوا: إنَّ البشر لَمْ يبلغوا سنَّ الرُّشد إلَّا في هذا الوقت الَّذي طَغتْ فيه عُلُومُ المادَّةِ، وانْحلَّت الأَخْلَاق، وشَاعَت الإباحيَّةُ والفَوْضَوِيَّةُ الضَّارَّةُ المُهْلِكَةُ، حتَّى تفاقم الشَّرُّ، وعمَّ الطُّغيان، واضمحلَّ الخير.

وهذا من أعجب العجائب، كيف يَكُون الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم، وخصوصًا سَيِّدهم ونبيُّهم مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم، وعَلَيهم أجمعين- ومَنِ اهتدى بِهُدَاهم من أئمَّة الهدى، ومَصَابِيح الدُّجَى، وخَوَاصِّ الخَلْق- لَمْ يَبْلُغوا سِنَّ الرُّشْدَ، وهُمُ الَّذين كانوا على الهُدى المُطلق، وبِهم هَدَى اللهُ البَشَرَ، وأَرْشَدَهم إلى كلِّ عِلْمٍ نافعٍ صَحيحٍ، وعَمَلٍ صَالحٍ، وخيرٍ ورشدٍ وصلاحٍ؟!

كيف يَكُونون هم وأَتْبَاعهم، ومَنْ سَلَك طريقَهم مِن الهَادِين المَهْدِيِّين المُهتدين لَم يبلغوا سنَّ الرُّشد، وهَؤُلَاءِ الزَّنادقةُ المَلَاحِدَةُ هم الَّذين بَلَغُوا سنَّ الرُّشد؟! سبحانك هذا بُهْتانٌ عظيمٌ!

---

(1) أي: قَبَّحُوا، وعَابُوا.

ويكفي تَصوُّرُ هذا القولِ، وتَصوُّر أحكامِه ولَوَازمه- مَعْرِفَةً ببطلانه، فإنَّ أكبر الدَّلَائل على رُشْد الرَّشيد وسَفَه السَّفيه: تَصرُّفاتُه، ونتائجُ أعماله، وثمراتُها.

انظر إلى أحوال الرُّسُل وأَتْبَاعِهم كيف هُدُوا إلى كلِّ عقيدةٍ صالحةٍ نافعةٍ، وإلى كلِّ خُلقٍ جَميلٍ وعَمَلٍ صالحٍ؟! وكيف نَهوا وحَذَّروا عَمَّا يضادُّ ذلك ويُنَاقِضُه؟! وكيف نَشَرُوا الصَّلاحَ والرَّحمةَ والحِكمة على البلاد والعِبَاد؟! وكيف تَمَّ بإرشادِهم الصَّلاحُ الَّذي ليس بعده صلاحٌ، والسَّعَادةُ العَاجِلَةُ والآجلةُ والفَلاح؟!

فَهَل تَجِدُ عِلْمًا نَافِعًا، أو خُلُقًا فَاضِلًا، أو خيرًا نَامِيًا، أو شرًّا مَدْفوعًا، أو ضَرَرًا مَرْفُوعًا إلَّا بسبب الرُّسُل، وإرشادِهم، وهدايتِهم، وسَعْيهم؟!

وأمَّا هَؤُلَاءِ المُلْحِدُون المَادِّيُّون فَعَلَى العَكس من ذلك، فإنَّ آثارَ عُلُومِهم وأَعْمَالِهم هَبَطَت بالبَشَر والإنسانيَّة إلى أَسْفل السَّافلين، وشَقُوا في دُنياهم كَمَا شَقُوا في دِينهم وعُقُولِهم، وهذه المُخترعات الَّتي تَكبَّروا بِها وطَغَوْا وبَغَوْا؛ هل تَوسَّلوا بِها إلى الخير والحَيَاة الطَّيِّبة والرَّحمة، أَمْ صَارَت أَكْبَرَ نكْبةٍ على البَشَر، وأعظمَ مُصِيبةٍ عليهم وعَلَى غَيرِهم؟

فأينَ الرُّشدُ، وأين العُقُولُ، وأينَ الأَحْلامُ الصَّحِيحةُ مِن قَوْمٍ هذا وَصْفُهم وَوَصْفِ أَعْمَالِهم المُطَابق لأحوالهم الَّذي لا يُمكن أحدٌ إنكارَه؟!

ولكن الكِبْر والأَشَر[1] والنَّظَر القَاصِر والبَهْرَجة رَوَّجتْ باطِلَهم، فَجَرَفت جُمهورَ البَشَر الَّذين لا بَصِيرةَ لَهُم ولا عُقول صَحِيحة، وإنَّما مَعهم التَّقْليدُ

(1) الأشر: كثرة الكذب والتجبر والغرور.

الأَعْمى والزَّهْو والغُرور.

فيا مَنْ عافاه الله من هذه البَلِيَّة، ومَنَّ عليه بِهداية الرُّسُل، احْمَد اللهَ حَمْدًا كثيرًا، واشْكُره شُكْرًا مُتَتَابِعًا؛ فإنَّ اللهَ أنعمَ عليك بنِعَمٍ لا يُقادَر قَدْرُها، ولا يُبلغ كُنْهُها، وسَلْ ربَّك الثَّبات على الإيمان الصَّحيح المُؤيَّد بالعقلِ الصَّريحِ، والفطرةِ السَّليمةِ، والطَّرائقِ المُسْتَقِيمة!

﴿ الوجه الخامس والعشرون: [لا عاصم من الفوضوية والشهوات إلا بما جاءت به الرسل]:

إنَّه لا عَاصِمَ مِن الفَوضويَّة وانطلاق النُّفُوس في أَغْرَاضِها وشهواتِها السَّبُعِيَّة البَهِيمِيَّة[1] إلَّا الاعتصام بالحقِّ الَّذي جَاءت به الرُّسُلُ، ونَزَلت به الكُتُبُ، من توحيدِ الله وعِبادته، والحثِّ على الأخلاقِ الجَميلة، والتَّحْذيرِ مِن ضِدِّها.

وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُون لمَّا أَعْرَضُوا وعَارَضُوا الحقَّ الَّذي جاءت به الرُّسُلُ، وقَاوَمُوه أَشَدَّ المُقاومة بخَيْلِهم وَرَجِلِهم وشَيَاطينهم، وفتحوا بابَ الاستغناء بِما تَقْذِفُ به القُلُوبُ من الأفكار التَّابعة للشَّهَوات النَّفْسِيَّة- انْدَفَعَت أفكارُهم وإراداتُهم وشَهَواتُهم إِلَى شَهَواتِ الغَيِّ، وإعطاء النُّفُوس مُنَاهَا، ولَمْ تقف عند

(1) قَسَّمَ الإمامُ ابنُ القِيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ نُفُوس النَّاسِ إلى كَلْبِيَّةٍ، وسَبُعِيَّة، ومَلَكِيَّة؛ فَالكَلْبِيَّة تَقْنَع بالعَظْم والكِسْرة والجِيفَةِ والقَذِرَة، والسَّبُعِيَّة لا تَقْنَع بذلك، بل بِقَهْر النُّفُوس تُريد الاستيلاءَ عَلَيها بالحَقِّ والبَاطِل، وأمَّا المَلَكِيَّة فَقد ارْتَفَعَت عَن ذَلك، وشَمَّرت إلى الرَّفِيق الأَعْلَى؛ فَهِمَّتُها العِلم والإيمَانُ، ومَحَبَّة الله تَعَالى، والإنَابة إليه، وإيثارُ مَحَبَّتُه ومَرْضَاته، وإنَّما تَأْخُذ مِن الدُّنيا مَا تَأْخُذ مِنها لِتَسْتَعِين به على الوصُول إلى فَاطِرِها ورَبِّها وَوَلِيِّها، لَا لِتَنْقَطِعَ به عنه. «الوَابِل الصَّيِّب» (ص 72)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ- 1985م.

حَدٍّ- فاستباحت كلَّ قَوْلٍ وفِعْلٍ مُحرَّم، ووقعوا في الإباحيَّةِ المَحْضَة، وصارت الحيواناتُ -على نقصِها- أحسنَ حَالًا منهم.

ثُمَّ مع هذا الشَّرِّ العَرِيض والفَسَاد الكَثِير زَيَّن لهم الشَّيطانُ ما كانوا يَعْمَلُون؛ فَجَعَلُوا يَدْعُون إلى هذه الأخلاقِ السَّافلة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:96، 97].

انظروا إلى أعمالِهم إنْ كنتم مُرْتَابين، وتأمَّلوا آثارَهم إنْ كنتم تَعْقِلون، كَمْ هَدَمُوا مِن مَحَاسِنَ وفَضَائِل! وكَمْ أَقَامُوا من شُرورٍ ورذائلَ! وَلَا يَغُرَّنَّك تَقلُّب الَّذين كَفَروا في البَلاد[1]، ولا تَغْتَرَّ بِما أُعْطِيه هَؤُلَاءِ المُلْحِدُون من إدراكاتٍ وقُوَّةِ ذكاءٍ، وفِطْنةٍ وأَعْمَالٍ[2]؛ فإنَّ الذَّكاءَ وتَوَابِعَه إذا لَمْ يُصْرف فيما خُلِق له العبدُ، وإذا أَنْكَر صَاحِبُه أَوْضَحَ الأَشْياء وأَحَقَّها- كان ضَرَرًا كبيرًا على صَاحِبه، مآلُه الهَلاكُ؛ كما قال تعالى عن أَمْثَالِ هَؤلاء: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:26]؛ فَذَكَرَ أنَّ جُحُودَهم لآياتِه أَوْجَبَ لهم ألَّا يَنتفعوا بِما أُوتُوا من هذه الإِدْرَاكات، وصارت النِّعَمُ جَالبةً للنِّقم.

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران:196 - 198].

(2) فقد يكون هذا استدراجًا من الله لهم؛ وإقامة للحجة عليهم؛ قال الله ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم:44].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر:83]؛ فَهُم عَظَّموا عُلُومهم الَّتي تَبَجَّحُوا بِها، وتكبَّروا، وقَاوَمُوا الرُّسُلَ، وسَخِروا بِما جَاءتْهم به الرُّسُل؛ فانْحَرَفَت عُلُومُهم إلى البَاطلِ، ونَزَل بِهم ما كانوا به يَسْتَهْزِؤون.

﴿ الوجه السادس والعشرون: [أخبار الرسل الغيبية موجودة ثابتة]:

قال الشَّيْخ: «ما أَخْبَرَت به الرُّسُلُ مِن الغَيب فهي أمورٌ مَوجودةٌ ثابتةٌ أكمل وأعظم مِمَّا نَشْهَدُه نحن في هذه الدَّار، وتلك أمورٌ مَحْسُوسةٌ تُشَاهَد وتُحَسُّ، ولكن بعد المَوت وفي الدَّار الآخرة، ويمكن أن يَشْهدها في هذه الدَّار مَنْ يَختصُّه اللهُ بذلك، ليست عقليَّةً قَائمةً بالعقل كما تقولُه الفلاسفة.

ولهذا كان الفرقُ بَيْنها وبَيْن الحِسِّيَّات الَّتي نشهدُها: أنَّ تلك غيبٌ، وهذه شهادةٌ، وكون الشَّيء غائبًا أو شاهدًا أمرٌ إضافيٌّ بالنِّسْبة إلينا، فإذا غَابَ عنَّا، كان غَيْبًا، وإذا شَهِدْنَاه كان شَهَادةً، وليس هو فَرقًا يعودُ إلى أنَّ ذاتَه تَعْقِل، ولا تَشْهَد، ولا تُحِسُّ، بل كلُّ ما يَعقل ولا يُمكن أن يُحسَّ بحالٍ- فإنَّما يَكُونُ في الذِّهْن، والمَلَائِكةُ يُمكن أن يُشْهَدوا ويُرَوْا، والرَّبُّ -تعالى- يُمكن رؤيتُه بالأَبْصَار، والمؤمنون يَروْنه في القِيَامة، وفي الجَنَّة، كما تَوَاتَرَتْ بذلك النُّصُوص[1]». انتهى[2].

---

(1) ومنها قول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:22، 23].
وما أخرجه البخاري (554) ومسلم (633) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كُنَّا عِند النَّبِي ﷺ، فَنَظَر إلى القَمر لَيْلَةَ -يعني البَدر- فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَر، لَا تُضَامُّون في رُؤيتِه**...»، الحديث. وقوله ﷺ: «**لا تُضَامُّون**»: يعني: لا يَنَالُكم ضَيْمٌ، أي: تَعَبٌ، أو ظُلْمٌ».
(2) «الرَّد عَلى المَنْطِقيين» لابن تيمية (ص309، 310)، دار المعرفة، بيروت.

وهذا يُبْطِلُ أَصْلَ المَلَاحِدَة الَّذين يَحْصرون المعلومات بِمُدْرَكَاتهم الخاصَّة القاصرة، فإنَّه ثَبَتَ بالبَرَاهين القَويَّة صِدْقُ الأنبياء عليهم السلام، وقَدْ تواترت عنهم هذه الأُمُور، وحصل اليقينُ التَّامُّ لجميع مَنْ صَدَّقهم، فإنكارُ المُلْحِدين لذلك إبطالٌ لأعظم المَعْلُومات بأقوى البَرَاهين وأَصَحِّها وأَوْضَحِها، وذلك مُكَابرةٌ منهم ومُبَاهتةٌ[1].

وقال الشَّيْخ: «واستدلال المَلَاحِدَة على إلحادهم بقوله تعالى: ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا** ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب:62]، و﴿... **تَحۡوِيلٗا** ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:43]؛ على أنَّ العالَم لا يَتغيَّر، بل لا تزال الشَّمْس تطلع وتغرب؛ لأنَّها عادةُ الله.

فيُقَال لهم: انخراقُ العَادَاتِ أَمْرٌ مَعلومٌ بالحِسِّ والمُشَاهدة بالجُملة.

وقَدْ أخبر في غير موضعٍ أنَّه سبحانه لَمْ يَخْلُق العَالَم عَبَثًا وبَاطلًا[2]، بل لأجلِ الجَزَاء، فَكَان هذا مِن سُنَّته الجَميلة، وهو جَزَاؤه النَّاس بأعمالِهم في الدَّار الآخِرَة، كما أَخْبر به مِنْ نِصرِ أوليائِهِ، وعُقوبةِ أعدائِهِ، فبَعْثُ النَّاسِ للجَزَاءِ هو من هَذه السُّنَّة.

---

(1) أصل البُهت: أن يُقَال البَاطلُ بِصَلَفٍ وغُرور، ومنه افتراءُ البَاطل؛ كما في قوله ﷺ: «**أَتَدْرُون ما الغِيبَة؟**». قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «**ذِكْرُك أَخَاك بِمَا يَكْرَه**». قيل: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قَال: «**إِنْ كَانَ فِيه ما تَقُول، فَقَد اغْتَبْتَه، وإِن لَم يَكُن فِيه فَقَد بَهَتَّه**». أخرجه مسلم (2589) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) قال الله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾**﴾ [المؤمنون:115، 116].

وقال جل وعلا: ﴿**وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾**﴾ [ص:27].

وهُوَ لَمْ يُخبر بأنَّ كلَّ عادةٍ لا تُنتقض، بل أَخْبَر عن السُّنَّةِ الَّتي هي عَوَاقب أفعال العِباد بإثابةِ أوليائِه، ونَصْرِهم على الأعداء، فهذه هي الَّتي أخبر أنَّه لَنْ يُوجَد لَها تَبْديلٌ، ولا تَحْويلٌ، كما قال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:43]، وذلك لأنَّ العادةَ تَتْبَع إرادة الفاعل، وإرادة الفَاعِل الحَكيم هي إرادةٌ حَكيمةٌ، فتُسوِّي بَيْن المُتَمَاثِلَات.

ولَن يُوجَد لهذه السُّنَّةِ تبديلٌ ولا تحويلٌ، وهو إكرامُ أهلِ وِلَايتِه وطَاعَتِه، ونَصْر رُسُلِه والَّذين آمنوا على المُكذِّبين[1].

فهذه السُّنَّة تَقْتضيها حِكْمتُه ﷻ، فلا انتقاضَ لَها، بخلاف ما اقتضت حِكْمتُه تغييرَه؛ فَذَاكَ تغييرُه مِن الحِكمة أيضًا، ومن سُنَنه الَّتي لا يوجد لَها تبديلٌ، ولا تحويلٌ.

لكن في هذه الآيات ردٌّ على مَنْ يجعلُه يفعل بمُجرَّد إرادة تُرجِّح أَحَدَ المُتَمَاثِلين بلا مُرجِّحٍ، فإنَّ هَؤُلَاءِ ليس له عندهم سُنَّةٌ لا تَتبدَّل، ولا حكمةٌ تُقْصد، وهذا خلاف النُّصُوص والعُقُول، فإنَّ السُّنَّة تقتضي تَماثُل الآحاد، وأنَّ حُكْمَ الشَّيءِ حُكْمُ نَظِيرِه، فَيَقْتَضِي التَّسويةَ بَيْن المُتَماثلات، وهذا خِلافُ قولِهم».اهـ[2].

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:47].

وقال جل جلاله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:51].

(2) «الرد على المَنْطِقيين» (ص 391).

❁ الوجه السابع والعشرون: [كفار اليهود والنصارى أعلم من الملحدين بالأمور الإلهية]:

قال الشَّيخ: «ما جاءت به الرُّسُل -صلوات الله عليهم- لا يعرفه هَؤُلَاءِ الفلاسفة، وليسوا قريبين منه، بل كُفَّار اليهود والنَّصَارى أعلم منهم بالأُمُور الإلهيَّة، لا فرق بَيْن العُلُوم النَّقليَّة ولا العقليَّة الصَّحيحة الَّتي جاءت بِها الرُّسُل، فهذه العقليَّات الدِّينيَّة الشَّرعيَّة الإلهيَّة هي الَّتي لَمْ يَشُمُّوا رَائِحَتَها، ولا في عُلُومِهم ما يدلُّ عليها.

وأمَّا ما اخْتُصَّت الرُّسُلُ بمعرفته، وأَخْبَرت به من الغيب، فذاك أمرٌ أعظم من أن يُذْكر تَرْجيحُه على الفَلْسَفَة[1].

فإذا كان أشرفُ العُلُوم لا سَبِيل للفَلَاسِفَة إِلى مَعْرفتها بطريقِهم كَمَا قَرَّر وتَقرَّر، واعترفوا به؛ لِزَمَ أَمْرَانِ:

أحدهما: أنَّه لا حُجَّة لهم على ما يُكَذِّبون به مِمَّا ليس في قياسهم دليلٌ عليه.

الثَّاني: أنَّ ما عَلِمُوه خَسِيسٌ بالنِّسبة إلى ما جَهِلُوه، فكيف إذا عُلِم أنَّه لا يُفِيد النَّجاة ولا السَّعادة، والرَّسولُ أَخْبَر عن أُمُورٍ مُعيَّنةٍ، مِثل نُوحٍ وخِطَابه لقومِه وأحواله المُعيَّنة، ومثل إِبْرَاهيم وأحواله المُعيَّنة، ومثل مُوسَى وعِيسى وأحوالِهما المُعيَّنة.

وليس شيءٌ من ذلك يُمكن معرفتُه بقياسِهم، لا البُرهاني ولا غيره، فإنَّ أَقْيستَهم لا تُفيد إلَّا أُمُورًا كُليَّةً، وهذه أمورٌ خاصَّةٌ.

---

(1) انظر «الرد على المَنْطِقيين» (ص 394، 395).

وكذلك أَخْبَرَ عَمَّا كَانَ وسَيكون بعدَه من الحُوَادث المُعيَّنة، حتَّى أَخْبَرَ عن التَّتَر[1] بما ثبت في «الصَّحيحين» من غير وجهٍ أنَّه قال: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا التُّرْك، صغارَ الأعين، ذُلْفَ الأُنُوفِ، حُمْر الخدود، يَنْتعلون الشَّعَر، كأنَّ وُجُوهَهم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**»[2].

فهل يُتصوَّر أنَّ قياسَهم وبُرهانَهم يدلُّ على آدَمِيٍّ مُعيَّنٍ أو أُمَّةٍ مُعيَّنةٍ، فضلًا عن أن يُوصَف بِهذه الصِّفاتِ قبل ظُهُورهم بنحو سَبع مِئَة سَنة؟!

---

(1) يَعُودُ أَصْل التَّتَار إلى الشُّعوب التُّركية التي هي سُكَّان القَارَّة الأَسيوية فيما وَرَاء النَّهر والجِبَال بَدءًا مِن الهَضَبة الإيرانية حتى مُنتهى القَارَّة في أَقْصَى شَرق الصِّين.

والتَّتَار فَرعٌ من هذه الشُّعوب التُّركية يَسكنون صَحَراء جوبي بأطرافِ بِلاد الصِّين الشمالية -مَنغوليا الآن- وهم قَبَائل رَعَوية تَعيش على الرَّعي والسَّلْب والنَّهْبا أمَّا دِيَانتها فهي قَبَائل وَثَنِيَّة تَعبد الأَوْثَان والكَوَاكبا وتَسْجد للشَّمس عند شُروقها وغُروبهاا وتَنتشر بينها ديانةٌ يُطلق عليها الشَّامَانية؛ تَقوم على تَقْديس أَرْوَاح الأَجْدَادا وتَقديم القَرَابين للحَيَوانات المُفترسة.

ويُطلق لَفظ (التتار) على قَبَائل المَغُول والتُّرك والإيجور وغيرهم. راجع «البداية والنهاية»، و«النجوم الزاهرة»، و«سير أعلام النبلاء».

(2) أخرجه البخاري (2928)، ومسلم (2912) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقوله ﷺ: «**ذُلْفَ الأُنُوفِ**»: **الذُّلْف**: جمع أَذْلَف، كأَحْمَر وحُمْر، ومعناه: فُطْسُ الأُنوف قِصَارُها مع انْبِطَاح.

قال الإمامُ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «**كَأَنَّ وُجُوهَهم المَجَانُّ المُطْرَقة**»، **المَجَان**: جمع مِجن، وهو التُّرْسُ، **والمُطْرَقة**: هي التي أُلْبِسَت العَقِب، وأُطْرِقت به طَاقة فَوق طَاقة.

قالوا: ومعناه: تَشبيه وجوه التُّرك في عَرْضِها وتَنَوُّر وَجنَاتها بالتُّرسة المُطرقة.

وهذه كُلُّها مُعجزات لرسول الله ﷺ؛ فقد وُجِد قِتَالُ هَؤلاء التُّرك بِجَمِيع صِفَاتِهم التي ذَكَرَها ﷺ: صِغَار الأَعْيُن، حُمْر الوجُوه، ذُلْف الأُنُوف، عِرَاض الوجُوه، كأنَّ وُجوههم المَجَان المُطرقة، يَنتعلون الشَّعر؛ فَوُجِدوا بهذه الصِّفَات كُلِّها في زَمَاننا، وقَاتَلَهم المُسْلِمون مَرَّات، وقِتَالُهم الآن، ونَسْأَل اللهَ الكَريم إِحْسَان العَاقِبة للمُسلمين في أَمْرِهم، وأَمْرِ غَيرِهم، وسَائر أَحْوَالهم، وإِدَامَة اللُّطْف بِهم والحِمَاية، وصَلَّى الله على رسولِه الَّذى لا يَنْطِقُ عن الهَوَى، إن هُو إلا وَحْي يُوحى».اهـ. «شرح النووي على مسلم» (18/ 37، 38) باختصار.

وكذلك إخبارُه بخُرُوج النَّار الَّتي خَرَجَت سنة (655)[1]، وسائر ما أخبر به من الأمور المَاضية، والمُسْتقبَلة، والأمور الحاضرة، مِمَّا يعلمون أنَّه يمتنع أن يعرف ذلك بالقياسِ البُرهانيِّ وغيره، فإنَّ ذاك يَدُلُّ على أمرٍ مُطلقٍ لا على شيءٍ مُعيَّنٍ.

وليس مع الفَلَاسفةِ ما يَنفي وجود ما يمكن أن يختصَّ به بعض النَّاس بالباطن؛ كالملائكة والجنِّ، ولا معهم ما ينفي تَمثُّل الأرواح أجسامًا حتَّى تُرَى بالحسِّ الظَّاهر، وما أشبه ذلك، فليس معهم في نفي هذه الأُمُور الثَّابتة بأخبار الأنبياء وببراهين أخر إلَّا الجهل المحض، فقَدْ كذَّبوا بِما لَمْ يُحِيطوا بعلمه ولَمَّا يأتِهم تأويله، مع أنَّ عامَّة أساطين الفلاسفة يُقرُّون بذلك، وكذلك أئمَّة الأطبَّاء، وطريق هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة لا يُفرِّق بَيْن الحقِّ والباطل بخلاف طريق الأنبياء». انتهى[2].

وقال في سببِ إِلْحَادِ بَعض المُلْحِدِين: «مِنْ أضرِّ الأُمُور على العبد: أن يَكُون مُتميِّزًا عن العامَّة ببعض العُلُوم الطَّبيعيَّة أو غيرها، فإذا جاءته العُلُوم الدِّينيَّة النَّافعة الَّتي لَمْ تدخل في علمِهِ نفاها، فخسر دينه، وصار علمُهُ الجزئيُّ

---

(1) أخرج البخاري (7118)، ومسلم (2902) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخرج نَارٌ مِن أرضِ الحِجَاز تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإبلِ بِبُصْرَى**».

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقَد خَرَجَت في زَمَاننا نَارٌ بالمَدينة سَنَة أربع وخَمْسين وسِتِّ مِئة، وكَانت نَارًا عَظِيمة جِدًّا مِن جَنْب المَدينة الشَّرقي وَرَاء الحَرَّة؛ تَوَاتَرَ العِلمُ بِها عِند جَميع الشَّام وسَائر البُلدان، وأَخْبَرني مَن حَضَرهَا مِن أهلِ المَدِينة». «شرح النووي على مسلم» (18/ 28). ولعل هذه الحادثة كانت آخر سنة (654)، واستمرت إلى أوائل سنة (655)؛ فذكر الإمام النووي رحمه الله بداية وقوعها، وذكر العَلَّامةُ السَّعدي ختام وقوعها، أو لعلَّ هذا من اختلاف المُؤرخين.

(2) انظر «الرد على المَنْطِقيين» (ص 445، 446).

لبعض المعلومات وَبَالًا عليه، وهكذا تجد مَنْ عرف نوعًا من العلم وَامْتَاز به على العامَّة الَّذين لا يعرفونه، فيبقى بجهله نافيًا لما لا يعلمه، وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونَفَوْه بغير علمٍ أكثر من ضلالهم فيما صَدَّقوا به وأثبتوه، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:39].

وهذا لأنَّ الغالبَ على الآدميِّين صِحَّةُ الحسِّ والعقل، فإذا أثبتوا شيئًا وصَدَّقوا به، كان حقًّا، بخلاف ما نَفَوْه، فإنَّ غالبهم أو كثيرًا منهم ينفون ما لا يعلمون، ويكذبون بِما لَمْ يُحِيطوا به علمًا.

ويَتفرَّع على هذا الأصل الباطل: الجهل بالإلهيَّات وبما جاء به الرُّسُل، والجهل بالأُمُور الكُليَّة المحيطة بالموجودات، وبِهذا ضلَّ زنادقة الفلاسفة وغيرهم، كما أنكروا الجنَّ والملائكةَ وأمور الغيب؛ إذْ لَمْ تدخل تحت عُلُومهم القَاصِرَة، فَجَحَدُوها، وكَذَّبوا بِما لَمْ يحيطوا بعلمه، وجَاءتهم الرُّسُل بالبَيِّنات والبراهين، ففرحوا بِما عندهم من العلم، وحاقَ بِهم ما كانوا به يستهزؤون». انتهى[1].

❁ الوجه الثامن والعشرون: [طرق العلوم اليقينية كثيرة]:

أن يقال لهَؤُلَاءِ المُلْحِدين المنكرين لأُمُور الغيب الَّتي أخبر الله بِها ورسوله: لِمَ أنكرتموها؟

فيجيبون بأنَّها لَم تدخل تحت عُلُومنا الَّتي بَنيْناها على إدراكاتِ الحواسِّ والتَّجارب. فيقال لهم: قَدِّروا أنَّها لَمْ تدخل في ذلك، فإنَّ طُرُقَ العُلُوم اليَقينيَّة

(1) «مجموع الفتاوى» (17/ 335، 336).

كثيرةٌ، وأكثرها لا تدخل تحت إدراكاتكم، فإنَّ إدراكاتكم قاصرةٌ حتَّى باعترافكم، فإنَّكم تعترفون أنَّ مُدْرَكَاتكم خاصَّة ببعض الموادِّ الأرضيَّة وأسبابِها وعللها، ومع ذلك لَمْ تدركوها كُلَّها باعترافكم وأعمالكم، فإنَّكم لا تزالون تبحثون، وتعملون التَّجارب الَّتي تنجح مرةً، وتخفق مَرَّاتٍ.

فإذا كانت هذه حالكم في الأسباب والموادِّ الأرضيَّة الَّتي يشترك بنو آدم في إدراكها، ويفترقون في مقدار الإدراك، فكيف تنفون بقيَّة العوالِم: عوالِم السَّماوات، وعوالِم الغيب، وما هو أعظم من ذلك من أوصافِ ربِّ العِزَّة وعظمته، وأنتم لَمْ يَتَّصل شيءٌ من عُلُومكم بذلك، فإنَّ هذا النَّفي باطلٌ بإجماع العقلاء، وإنَّما هذا مكابرةٌ.

وإذا قلتم -وأنتم تقولون بلسان المقال ولسان الحال-: إنَّ أَئمَّتكم ورؤساءكم قالوا ذلك وأنكروه.

فيقال أوَّلًا: رؤساؤكم قَدْ تضاربت أقوالُهم، وتناقضت مقالاتُهم، ولَمْ يثبتوا على مقالةٍ واحدةٍ، ولَمْ يزالوا في خبطٍ واختلاطٍ، وإحداثِ نظرياتٍ ونقضها، واتِّفاقٍ وافتراقٍ.

ولو قُدِّر على وجه الفرض اتِّفاقهم على الإنكار، فكيف يُؤخَذ بأقوال مَنْ لَمْ يعرف صِدْقهم، بل عُرِف كذبُهم وخطؤهم في ذلك، ولا يُؤخَذ بأقوال الرُّسُل من أوَّلهم إلى آخرهم الَّذين ثبت صدقهم بالبراهين اليَقينيَّة والآيات القواطع، وثبت علمهم الَّذي تتضاءل مَعَهُ عُلُوم جميع البشر، ولَمْ يصل أحدٌ إلى العلم الصَّحيح والهداية إلَّا من جهتهم -وهم مُتَّفقون على ذلك- والكُتُب السَّماويَّة الْمُنَزلة عليهم، وأتباعهم الَّذين عرفت هدايتهم ودرايتهم، وعرف أنَّ الواحد من أئمَّة هَؤُلَاءِ الهُدَاة يقاوم الفلاسفة من أوَّلهم إلى آخرهم، فقَدِ اتَّفقَتِ الرُّسُل والأنبياء

وأتباعهم وأدلَّة العُقُول الصَّحيحة والفطر السَّليمة الَّتي لَمْ تُغيِّرها العقائد الفاسدة على الإيمان بالله وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، وجميع ما يجب الإيمان به من الغُيُوب.

وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُون ليس معهم نقلٌ ولا عقلٌ صحيحٌ، إنَّما معهم ظنونٌ كاذبةٌ، وآراءٌ خاطئةٌ، ونَظريَّاتٌ مضطربةٌ، وتقليدٌ أعمى للضَّالِّين الحائرين: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الجاثية:6]، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية:7، 8]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس:96، 97].

❁ الوجه التاسع والعشرون: [آيات الرسل حسية شاهدتها الأمم]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين كاذبون في دَعْواهم إثبات كلِّ ما دخل تحت حَواسِّهم، فإنَّه قَدْ تواترت آيات الرُّسُل، وشاهدها الخَلْق العظيم، واعترفوا وخضعوا لَها، وشاهدوا ما فَعَله الله في الأرض من نصر الرُّسُل وأتباعهم ونجاتِهم، وإهلاك الأمم المُكذِّبة، وهذه وقائعُ كثيرةٌ لا يمكن إحصاؤها، ولَمْ يشتهر ويتواتر شيءٌ كاشتهارها وتواترها.

ولَمْ يعترف البشر بشيءٍ من الأشياء أعظم من اعترافهم بِها؛ لأنَّهم شاهدوها رأيَ عينٍ، ونَقلتْها الأمم قرنًا بعد قرنٍ، وهَؤُلَاءِ يُكَابرون ويُبَاهتون ويَجْحدون ما اعترفت به الأممُ على اختلاف مِلَلهم ونِحَلِهم، فهم تابعون لأئمَّتهم الَّذين قال الله عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:14].

الوجه الثلاثون: [الطبيعة لا شعور لها، فكيف تكون خالقة؟!]:

إنَّك إذا تَصوَّرت قول هَؤُلَاءِ المُلْحِدين المَادِّيين الَّذين زعموا أنَّ الحوادثَ كلَّها من أوَّلها إلى آخرها: حوادث الطَّبيعة، ومع ذلك هذه الطَّبيعة لا شعور لَها بِما يصدر منها من أفعالٍ، وإنَّما هي آلةٌ محضةٌ، ومع ذلك تَصْدر عنها الأفعالُ العظيمة الَّتي هي في غاية الإبداع والإتقان، وفي نِهاية الحكمة والرَّحمة، وفي غاية الارتباط الوثيق الَّذي استقامت به الأُمُور، وصَلحت الأحوال من دون مُدبِّرٍ لَها، ولا خالقٍ، ولا فاعلٍ.

فمَنْ تَصوَّر هذا القولَ حقَّ تَصوُّره؛ عرف أنَّه قولٌ يُشْبه أقوال المَجَانين الَّذين سُلِبَتْ عُقُولُهم، وهَذوا بِما لا شُعُور لهم به، وعرف كلُّ عاقلٍ بصيرٍ أنَّ نفس مقالاتِهم تدلُّ أكبر دلالةٍ على كَذبِهم وافترائهم، فضلًا عن دلالات البراهين النَّقليَّة والقواطع العقليَّة، وما فطر اللهُ عليه الخَلْقَ من الاعتراف بوحدانيَّة الله وتَفرُّده بكلِّ كمالٍ، وأنَّه الفَاعِلُ لِمَّا يُريد، وأنَّه مُبْدِعُ السَّماوات والأرض، ومُودِع فيها من بدائع حكمتِهِ، وأسرار حَمْده، وسعة عظمته ورحمته، وعموم برِّه وفضله، وأنَّه لا يخرج موجودٌ ولا حادثٌ عن قدرته ومشيئته، وأنَّ رُسُله صادقون في كلِّ ما أخبروا به وشرعوه.

والحمدُ لله على أكبر النِّعَم، وهو الاعتراف بالحقِّ الَّذي جاءت به الرُّسُل، والعافية من هذا البلاء الَّذي هو أَكْبَرُ المَصَائب على العَبد، وهو اتِّباع كلِّ مُلْحِدٍ مَارِقٍ مِن العَقْل والدِّين.

openkanal.com

الوجه الحادي والثلاثون: [علوم الملاحدة عرضة للتغيير]:

أنْ يُقَال لِرُؤساء المُلْحِدين وأذكيائهم فضلًا عن عَوامِّهم ومُقلِّديهم: أنتم لا تَزَالُون في عُلُومكم الَّتي افتخرتم بِها، لا تزالون تُحْدثون نظرياتٍ تَتَّفق عليها آراؤكم أو أكثرها، وتُقرِّرونَها، وتعتقدونَها، وتَجْزمون بصِدْقها، ثُمَّ مع تكرار أفكاركم وأنظاركم عليها تَشكُّون فيها، وربَّما تجزمون ببطلانِها، وتُحْدثون ما يَضادُّها من النَّظريَّات الَّتي باتِّفاقكم أنَّ النَّظريَّة تَقْبل التَّحليل والشَّكَّ والقَدْح فيها، وهي عُرْضةٌ للاضمحلال.

وكَمْ قَدْ أَبْطَلتم منها ما كُنتم تَرَوْنه حَقًّا، وكَمْ كَذَّبتم ما كنتم به مُصدِّقين، فعُلُومكم العَالِية عندكم وهذه حالها ومآلها، كيف يسوغ مَنْ له أدنى معقولٍ أن يَجعلها معارضةً لما جاءت به الرُّسُل من الحقائق الصَّادقة الَّتي اتَّفقَتْ عليها الرُّسُل، ونَزَلتْ بِها الكُتُبُ، وأَيْقَنَ بِها الأئمَّةُ الفُضَلاءُ والهُدَاةُ المُهْتَدُون.

الوجه الثاني والثلاثون: [إنكار ما جاءت به الرسل مكابرة]:

قَدْ تَقرَّر عند جميعِ الأُمم -سِوَى هذه الطَّائفة الَّتي كَابَرَت وبَاهَتَت- صِدْقُ الرُّسُل بِما كانوا عليه من الأخلاق العَالِية والأوصاف الرَّفيعة، وبما جاؤوا به من الدِّين الحقِّ الَّذي أصلحَ اللهُ به الدِّينَ والدُّنيا، وهَدَى به العبادَ إلى كلِّ خيرٍ وصلاحٍ وفلاحٍ خاصٍّ وعامٍّ، عاجلٍ وآجلٍ، وأيَّدهم بالآيات البَيِّنات والبُرَاهين القَاطِعَات الَّتي تَوَاتَرت تواترًا لَم يُقَارِبه شيءٌ من المُتَواترات، حتَّى تناقلتها الأممُ والقُرون، وصارت في مُقدِّمة الحقائق، وفي أعلى مراتب الصِّدْق،

وخصوصًا نَبيُّهم وسَيِّدهم مُحمَّد ﷺ.

فإنَّ جميعَ الخَلْق شَهِدُوا بصدقِ ما جاء به، واعترفوا به، وخَضَعُوا -أولياؤه وأعداؤه- ولو لَمْ يجئ إلَّا بِهذا القرآن الَّذي تَحدَّى اللهُ به الإنسَ والجنَّ أن يَأْتُوا بِمثله، أو بِعَشْر سُورٍ، أو بسورةٍ واحدةٍ لبلاغته العظيمة، وأسلوبه الجميل الجليل، وأحكامه الَّتي هي أحسن الأحكام، وإخباره عن الغُيُوب الماضية والمستقبلة المُتعلِّقة بالخَلْق، والمُتعلِّقة بالخالق.

فمَنْ عَرَفَ شيئًا من أحوال الرُّسُل وصِدْقهم وأخبارهم وأحكامهم؛ عرف أنَّ مَنْ أنكر ما جاءت به الرُّسُل قَدْ كَابَرُوا المَحْسُوسات، وبَاهَتُوا المَعقولات، وعَانَدوا العُلُوم الصَّحيحة، ورَدُّوا المعارف اليَقينيَّة، وأنَّهم -بلا شكٍّ- معاندون للحقِّ، أو مُقلِّدون للمعاندين تقليدًا أعمى، فهم كما قال الله عن أَئمَّتهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:14].

فإذا لَمْ يؤمنوا ويُصدِّقوا بِما جاءت به الرُّسُل ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية:6].

أمَّا أُولو الألباب، فقَدْ قال الله عنهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران:193]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:53].

❁ الوجه الثالث والثلاثون: [شهود العقول بمحاسن الشريعة]:

أن يُقَال لهَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة: ما جاء به مُحمَّد ﷺ من الدِّين والشَّرع وَحْيٌ من

الله، جاء على يَدِ الرَّسُولَين (جِبْرِيل ومُحَمّد ﷺ)[1]، وهو مُؤيَّدٌ بشهادة الآيات والبَرَاهِين القاطعة.

والعُقُول تَهتدي به وتَسترشد إلى جميع المَطَالِب العَالِية، فَتَشْهَد بكمال حُسْنِه، وتَعترف بِحَاجَتِها وضَرُورتِها العَظيمة إلى إرشادِه، وتَستنير به، وتعرف أنَّه لا سبيلَ لَها إلى الوُصُول إلى تفاصيل ما أخبر به من الغُيُوب المُفصَّلة، وأنَّه ليس في عُلُومِها ما يدلُّ على ذلك، فسَلَّمتْ لِمَا جَاء به الوحيُ والشَّرْعُ، ولَم تَعْبَأْ بِعُقولٍ بُنِيَتْ على الشُّبَه والخَيالات، فإنَّها لو جُمِعَت حِكَمُ جَميعِ الأُمم، ونُسِبت إليها؛ لَم يكن لَها إليها نِسبةٌ.

وهذه الشَّريعة مُتضمِّنةٌ لأعلى المطالب بأقرب الطُّرقِ وأتمِّ البيان، وهي مُتكفِّلةٌ بتعريف الخليقة ربِّها وفاطرها المحسن إليها بأنواع الإحسان بأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، وتعريف الطَّريق الموصل إلى رضاه، وإبطال ما يضادُّ ذلك وينافيه، فابتداؤها من الله، وانتهاؤها إليه سالمةً من هَذَيَانَات المُلْحِدين، وافتراء المُفترين.

وقَدْ أكمل اللهُ الدِّينَ لنَبيِّه وأُمَّته، فلم يُحْوِجْه هو ولا أُمَّته إلى عَقْلٍ ونَقْلٍ سِوَاه؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

ولا يُمكن أن يُعَارِضَه عَقْلٌ صحيحٌ، ولا علمٌ صادقٌ، ومَنْ تأمَّل ما خالف

---

(1) جبريلُ عليه السلام نَزَلَ به من عند الله ﷻ عَلَى قَلْب مُحَمَّد ﷺ؛ فجبريلُ عليه السلام رسولٌ سَمَاوِيٌّ، ومُحَمَّدٌ ﷺ رسولٌ أَرْضِي؛ قال ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:193، 194].

النُّصُوص الصَّحيحة الصَّريحة، وجدها شُبُهاتٍ فاسدةً، يُعْلم بالعقل بطلانها وثُبُوت نقيضها.

والرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- تُخْبر بِما تَعرفه العُقُول جملةً وتفصيلًا، أو تعرفه جملةً، ولا تَهْتدي إلى تفصيلِهِ، أو تُخبر بأُمُورٍ لا تَهتدي إليها العُقُولُ بمُجرَّدِها؛ لا جُمْلَةً ولا تَفْصِيلًا، ومُحَالٌ أن تُخْبِر بِما تُحِيلُه العُقُولُ الصَّحيحةُ، وهذا يعرفُه كلُّ مَنْ له خبرةٌ بالشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، وخبرةٌ بمقالات الأُمم.

وقَدْ تَتبَّعَ كبارُ العُلماء وأَسَاطين الحُكماء وفُحُول أهل النَّظَر ذلك، فَوَجَدُوه كذلك في جَميع الحَقائق الَّتي جاءت بِها الرُّسُلُ، وبَرْهنوا أنَّ كلَّ ما خالفها فهو ضلالاتٌ وجهالاتٌ وخيالاتٌ، حتَّى باعتراف مَنْ أنصف مِنْ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين فضلًا عن أُولِي الألباب والبصائر، وأهل العقول الوافية المُغتذية بالوحي والهداية النَّبويَّة.

فإنَّهم عَلِموا علمَ اليقين أنَّ جميعَ ما جاءت به الرُّسُلُ من أُمُور الغَيب ومن الأحكام الشَّرعيَّة والقَدريَّة والجَزائيَّة فهو حقُّ اليقين، فتَيقَّنوه بقُلُوبهم، وشَهِدَت به أَلْسِنتُهم، وهَدَوْا به الخليقةَ؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:18]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:50]، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:6]، ﴿مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾

[مريم:58]، ولمَّا ذكر صفات أولي الألباب قال عنهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا﴾ الآية [آل عمران: 193].

﴿ الوجه الرابع والثلاثون: [أصل بلاء الملحدين]:

إنَّ أصلَ بلاء المُشركين والمُلْحِدين قياسُ الرَّبِّ العظيم بالمخلوق النَّاقص الحقير، ولَمْ يعترفوا أنَّ الله ليس كمثلِهِ شيءٌ، وأنَّ له المَثَلَ الأَعْلَى في السَّماوات والأرض، وأنَّ له العظمةَ كُلَّها، والكبرياءَ كلَّه، والمَجْدَ والحَمْدَ والجَلَال، وأنَّ ما للخَلْق من أوَّلهم إلى آخرهم من قُوَّةٍ وعظمةٍ وأوصافٍ فإنَّها تَضْمحلُّ غايةَ الاضمحلال، ولا يَبقى لَها نسبةٌ بوجهٍ من الوجوه إذا نُسِبتْ إلى عظمة الله وجلاله وكماله.

وإلَّا فلو عَلِمُوا أنَّ الله تعالى هو الخَالق لجميع الموجودات (أعيانِها وأوصافها وأفعالها)، ومَنْ سَوَاه مَخلوقٌ، وأنَّه مالكُ المُلك المُطلق، ومَنْ سواه عبدٌ مملوكٌ، وأنَّه العليمُ: الَّذي أحاط علمُه بكلِّ شيءٍ، الرَّحيم: الَّذي وَسِعَت رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، القدير: الَّذي لا يُعجزه شيءٌ، العزيز: الَّذي عَلَا على كلِّ شيءٍ، وقَهَر المَخلوقات كلَّها، ودَانَت لِعِزَّتِه وقُدرته، وأنَّه الأوَّل: الَّذي ليس قبله شيءٌ، الآخِر: الَّذي ليس بعده شيءٌ، الظَّاهر: الَّذي ليس فوقه شيءٌ، الباطن: الَّذي ليس دونه شيءٌ، الحكيم في كلِّ ما خَلَقَه، وحَكَم به شَرعًا وقدرًا وجزاءً، إلى آخر ما وَصَلتْ إليه معارف الرُّسُل وأتباعهم من أوصافِه، فلا يُحْصي أحدٌ ثناءً عليه، لو علموا شيئًا من ذلك لعرفوا أنَّ قولَهم واعتقادَهم أَبْطَل

البَاطِلِ، وأَشْنَع الكَذِب، وأَعْظَم الجَراءة على اللهِ والمُكَابرة لآياتِهِ وبَرَاهينِهِ الَّتي خَضَعَت لَها الخليقةُ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:44]، ﴿□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□﴾ [مريم:93-95].

فهؤُلَاءِ المُلْحِدُون لمَّا لَمْ تَصِلْ مَعَارفهم الضَّئيلة إلى شيءٍ مِن ذلك، وحَصَرُوها في بعض الأسباب، ولَمْ تَرْتَقِ إلى مُسبب الأسبابِ، ولَمْ يَصِلُوا مِن المَخلوقات إلى خَالِقِها- ظنُّوا أنَّ ما وصلوا إليه هو غايةُ العِلم، ونِهاية المَعرفة؛ جَهْلًا وضَلَالًا، ومِنهم مَنْ كان كَذَلك ظُلمًا وعِنَادًا.

فيا أيُّها المؤمن بالله؛ احْمَد اللهَ على هذه النِّعْمَةِ الَّتي هي أكبرُ النِّعَم، والسَّلَامة من عُقوبة الإلحاد الَّتي هي أكبر النِّقَم.

۞ الوجه الخامس والثلاثون: [حصر الملاحدة مداركهم في الحياة الدنيا]:

إنَّ هَؤُلَاءِ الدَّهْرِيِّين لمَّا كانوا يقولون: ما هي إلَّا حياتنا الدُّنيا، نَموت ونَحيا، وما يُهْلكنا إلَّا الدَّهْر، وما هي إلَّا الطَّبيعة تَتولَّد عنها الموجودات والحوادث، حَصَروا مَدَاركهم في هذه الحياة الدُّنيا، فأدركوا منها ما أدركوا، وجحدوا ما سوى ذلك من أُمُور الغيبِ، وما أَخْبَرت به الرُّسُلُ من الغُيُوب والأحكام، فضاقت دائرةُ عُلُوم هَؤُلَاءِ الملحدين، وامتلأت قُلوبُهم من الكُفر والكِبر والسُّخرية بعُلُوم الرُّسُل، وسَاءتْ قُصُودُهم، وخَتَم اللهُ على مَدَارِكهم -القُلُوب والأَسْمَاع والأَبْصَار- فلَمْ يَنتفعوا بِها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا

obeikandl.com

وَأَفْـِٔدَةُ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [الأحقاف:26]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر:56].

فَنَعُوذُ بالله من هذا الكِبْر الَّذي هَبَط بصاحبِهِ إلى هذه الدَّرَكات، ومَنَعه من الوُصُول إلى العُلُوم النَّافعة والسَّعادة والفلاح، وحَسَّن له ما هو عليه من العُلُوم النَّاقصة، والأعمال القِبَاح.

ولهذا قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَعْلومات المُعَاينة الَّتي لا تُدْرك إلَّا بالخبر أَضْعَاف أَضْعَاف المَعلومات الَّتي تُدْرك بالحسِّ والعقلِ، بل لا نسبة بينها بوجهٍ من الوجوه، ولهذا كان إدراكُ السَّمْع أعمَّ وأشمل من إدراك البصر، فإنَّه يُدْرك الأُمُورَ المَعدومةَ والموجودةَ والحاضرةَ والغائبةَ، والمعلومات الَّتي لا تُدْرك بالحسِّ.

والأُمُور الغائبةُ عن الحسِّ نسبةُ المحسوسِ إليها كَقَطْرةٍ من بحرٍ، ولا سبيلَ إلى العلم بِها إلَّا بالخبر الصَّادق.

وَقَد اصْطَفى اللهُ من خَلْقِه أنبياء، أَنْبَأَهم من أنباء الغيب بِما يشاء، وأَطْلعهم منها على ما لَمْ يُطْلع عليه غيرهم، فليس كلُّ ما أخبر به الأنبياءُ يمكن معرفته بدون خبرهم، بل ولا أكثره، ولهذا كان أكمل الأمم علمًا: أتباع الرُّسُل، وإنْ كان غيرهم أحذق منهم في علم النُّجُوم والهندسة، وعلم الكمِّ المُتَّصل والمنفصل، ونحوها من العُلُوم الَّتي لمَّا جَاءتْهم رُسُلهم بالبَيِّنات فَرِحُوا بِما عندهم من

العلم[1]، وآثروها على عُلُوم الرُّسُل، وهي كما قال الوَاقِفُ على نِهايتِها: ظنونٌ كاذبةٌ، وعلومٌ غير نافعةٍ.

فنَعُوذ بالله من علمٍ لا ينفع، وإنْ نَفَعتْ فنَفْعها بالنِّسْبة إلى عُلُوم الأنبياء كنَفْع العيشِ العاجلِ بالنِّسْبة إلى الآخرة ودوامها، فليس العلمُ في الحقيقة إلَّا ما أَخْبرَتْ به الرُّسُل عن الله طلبًا وخبرًا، فهو العلمُ المُزكِّي للنُّفوس، المُكمِّل للفِطَر، والمُصحِّح للعُقُول، الَّذي خَصَّه الله باسم «العلم»، وسمَّى ما عَارَضَه: «ظنًّا» لا يُغْني من الحقِّ شيئًا، و«خَرَصًا»، و«كذبًا»[2].

وإذا تأمَّلت ما عند المُعارضين لنُصُوص الأنبياء بعُقُولهم، رأيته كلَّه خرصًا، وعلمت أنَّهم هُمُ الخَرَّاصون، وأنَّ العلم في الحقيقة: ما نزل به الوحيُ على الأنبياء والمرسلين، وهو الَّذي أقام اللهُ به حُجَّته، وهَدَى به أنبياءه وأتباعهم، وأثنى عليهم به، وذكر الآيات الدَّالَّة على هذا». انتهى[3].

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: 82- 85].

(2) قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: 36].

وقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس: 66].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: 105].

(3) انظر «الصواعق المرسلة» (3/ 873- 879).

﴿ الوجه السادس والثلاثون: [قوة ارتباط أدلة الدين بمدلولاتها]:

إنَّ آياتِ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ومُعجزاتِهم الَّتي شَاهَدَها الخَلْقُ العظيمُ، وتَنَاقلتها القُرون، واجتمعت عليها الدِّلالات المُتنوِّعة (دلالة العقل، ودلالة الحسِّ)، واضطرار الخَلْق الَّذين شاهدوها أنَّها من عند الله، ومن آياتِهِ وبراهينِهِ، تَهْدم الأصلَ الَّذي أَصَّله المَلَاحِدَة حيث لَمْ يُثْبتوا إلَّا ما دلَّ عليه الحسُّ، فإنَّ أكثر المَحسوسات إذا نُسِبَتْ لآيات الأنبياء ومعجزاتِهم لَمْ يكن لَها إليها نسبةٌ من هذه الجهة، فضلًا عن بقيَّة الاستدلالات عليها، فهي من أقوى الطُّرقِ وأَوْضحِها وأدلِّها على الصَّانعِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ.

قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وارتباط أدلَّة هذه الطَّريق بِمدلولاتِها أقوى من ارتباط الأدلَّة العقليَّة الصَّريحة بِمَدْلولاتِها، فإنَّها جَمَعتْ بَيْن دلالة الحسِّ ودلالة العقل.

ودلالتها ضروريَّةٌ بنفسها؛ ولهذا يُسمِّيها اللهُ «آيات بَيِّنَات»[1]؛ فإنَّ انقلابَ عَصًا تُقِلُّها اليدُ ثُعبانًا عظيمًا يَبتلع ما يمرُّ به، ثُمَّ يعود عصًى كما كانت[2]، وكذلك اليَدُ[3]، وفلق البحر طُرُقًا والماءُ قائمٌ بينهما كالحيطان[1]، ونَتْق الجبل

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت:48، 49].

(2) قال الله ﷻ: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف:117، 118].

(3) وقال الله ﷻ: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا =

من موضعه، ورَفْعه على قَدْر العَسْكر العظيم فوق رُؤوسهم[2]، وضَرب حَجَر مُربعٍ بعَصًا، فتَسِيل منه اثنتا عشرة عَينًا تكفي أُمَّةً عظيمةً[3]، وإخراج النَّاقة لِصَالح[4]، وتصوير طائرٍ من طينٍ، ثُمَّ يَنفخ فيه النَّبِيُّ؛ فَيَنْقَلب طَائرًا ذا لَحْمٍ وريشٍ وأَجْنِحَةٍ يَطير بمَشْهدٍ من النَّاس[5]، وإنزال العُقُوبات المُتنوِّعة على المُكذِّبين للأنبياء[6]، ثمَّ نجاة النَّبِيِّ ومَنْ مَعَهُ من المؤمنين[7]، وإيماء الرَّسول

= ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه:20-22].

(1) قال الله ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء:63].

(2) قال الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف:171].

(3) قال الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:60].

(4) قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:73].

(5) قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة:110].

(6) قال الله ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:40].

(7) قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس:103].

إلى القَمر، فَيَنْشَق نِصفين بحيث رآه الحاضرُ والغَائبُ ويُخبر به، كما يَرَاه الحاضرون[1]، وكذا بقية الآيات الَّتي شَاهَدها النَّاس من النَّبِيِّ ﷺ، وهي مُتنوِّعةٌ جدًّا، وأَمْثَال ذلك من الآيات من أعظم الأدلَّة على الصَّانِع وصِفَاتِهِ وأفعالِهِ، وصِدْق رُسُلِه، واليومِ الآخر.

وهذه من طُرُق القرآن الَّتي أَرْشد اللهُ إليها عبادَه، ودَلَّهم بِها، كما دَلَّهم بِما يُشَاهدون من أحوال الحيوانات والنَّبات والمطر والسَّحاب والحَوَادث الَّتي في الجوِّ، وأحوال العُلْوِيَّات: مِن السَّمَاء والشَّمس والقمر والنُّجوم، وأحوال النُّطفة وتَقلُّبها طَبَقًا بَعد طَبَقٍ». انتهى[2].

وفي هذا إبطالٌ لِقَولِ مَنْ يَسْتهين بِمعجزات الأنبياء، ويُجَاري المُلْحِدين في تحليلِها تَحْلِيلًا يُعْلم بالضَّرورة بُطلانه، وأنَّه قَدْحٌ في الضَّروريَّات والمَحْسُوسات، ولكنَّ التَّقْليدَ الأَعْمَى والخُضُوع للمَلَاحِدَة، ومُوَافقتهم على كثيرٍ من أُصُولهم الباطلة أوصلهم إلى حالة الاستهانة بآيات الأنبياء، وخوارق ما أجرى الله على أيديهم مِمَّا هو معلومٌ بالحسِّ والعقلِ والخبرِ والمشاهدةِ، ومنقولٌ نقلًا متواترًا لا يُشْبهه شيءٌ مِن المُتَوَاتِرَات.

واللهُ تعالى يُنوِّع آياته، ويجعلها في كلِّ فنٍّ وتصريفٍ؛ لتقوم الشَّواهدُ على توحيدِهِ وصِدْق رُسُله؛ لِيَحْيا مَنْ حيَّ عن بَيِّنةٍ، ويَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنةٍ، وليَعْلَمَ العبادُ أنَّ قدرتَه تعالى يُصرِّف بِها الأُمُور بأسبابٍ يعرفُها العبادُ، وأسبابٍ لا يَعرفون وَجْهَها، وإنَّما يَعرفون نَتِيجَتها وفائدتَها الدَّالَّة على صِدْق رُسُلِهِ، وكَذِب

(1) أخرج البخاري (4864)، ومسلم (2800) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انْشَقَّ القَمَرُ عَلى عَهْدِ رسولِ الله ﷺ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَة فَوق الجَبل، وفِرْقَة دُونه، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**».

(2) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (3/ 1197، 1198).

أعدائه، وبُطلان قَوْلِهم الَّذي خالفوا فيه الرُّسُل.

والحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الَّذين اصْطَفَى.

﴿ الوجه السابع والثلاثون: [اللّه ﷻ واجب الوجود]:

أن يُقَالَ لِهَؤُلَاءِ المُلْحِدين الدَّهريِّين ما قالَتْه الرُّسُلُ لِأَسْلَافِهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:10].

فاللهُ تعالى وُجودُهُ أَظْهَرُ المَوجودات، وهُو وَاجِبُ الوجود، وغيرُه وُجِد بعد العَدَم، وهو تعالى فاطر السَّماوات والأرض، فكلُّ الموجودات (الحاضرة والسَّابقة واللَّاحقة)، وجميع الحوادث في جميع الأوقات، كلُّها بخلقِهِ وتسخيرِهِ وتدبيرِهِ وتصريفِهِ، أَوْجَدها بعد العدم، وأَمدَّها بكلِّ ما تحتاج إليه، وحَفِظها مِنَ الزَّوَال والاضْمِحْلَال، وهو يُحْيِيها ويُمِيتها، ويُعْدِمُها ويُبْقِيها، ويَتصرَّف فيها بكمالِ الحِكْمة وبَدِيع العِنَاية.

قَدْ شَهِدَت بِوَحْدانيَّته جميعُ المَوجودات، وخَضَعَت لِعَظمته جميعُ الكَائِنات، وافتقرت إليه جميعُ البَريَّات في كلِّ شُؤونِها، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:29]؛ شُؤونٌ يُبْديها، ويَبتديها[1].

---

(1) هكذا في جميع النسخ التي وَقَفْتُ عليها، ولعلها: «شُؤونٌ يُبْديها، ولا يَبْتَديها».

كما جاء في «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي: «قال الحسين بن الفضل، وقد سأله عبدُ الله بن طاهر عن قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾- وقد صَحَّ أنَّ القَلَم جَفَّ بِمَا هو كائنٌ إلى يوم القيامة؟ فقال: شُؤونٌ يُبديها، لا شُؤون يَبتديها». اهـ.

وقال النفراوي في «الفواكه الدَّوَاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (1/ 199): «شُؤون يُبديها- أي: يُظهرها- لا شُؤون يَبتديها، أي: يُقَدِّرُها، أي: لأنَّ التَّقدير في سَابِق عِلْمَه». اهـ.

وقَد قامت البَرَاهينُ القَوَاطِعُ الَّتي لا تُعدُّ ولا تُحْصى على هذا الأمر، وشهدت به الكُتُبُ والرُّسُلُ وأَتْبَاعُهم، وأُولو العُقُول الصَّحيحة والفِطَر المُسْتَقِيمة، لا يمكن أحدًا له مُسْكةٌ من عقلٍ أن ينكر هذا، إلَّا هَؤُلَاءِ المُلْحِدُون الَّذين فَسَدت عُقولُهم، ومَرَجت أخلاقُهم[1]، واقتدوا بكلِّ شيطانٍ مريدٍ؛ كَفِرْعَون وأشباهِه، الَّذي قال له مُوسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:102]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:14].

وحيث خَاطَبَ مُوسى عليه السلام حين أَمَرَه بالإيمان: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:49، 50].

فاستدلَّ عليه بجميعِ الكَوْن؛ ناطقِهِ وصَامِتِهِ، وأنَّه الَّذي انْفَرَدَ بِخَلْقِه، لَمْ يُشَاركه في ذلك مُشَاركٌ، وهَدَى كلَّ مخلوقٍ إلى مصالحِهِ ومنافعِهِ المشاهدة، فهذا البرهانُ جميعُ العقلاءِ يَعترفون به، ولا يُنكره إلَّا كلُّ مُكَابرٍ مُبَاهِتٍ؛ مثل فِرْعَون وأئمَّة هؤلاء، ولهذا لمَّا جاءه مُوسى وخَاطَبَه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء:23] إنكارًا له! قَالَ مُوسَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء:28].

فكلُّ عاقلٍ لا بُدَّ أن يَعترفَ به، ومَنْ لَمْ يَعترف به، فإنَّه إمَّا مَجنونٌ، أو مُعَانِدٌ مُبَاهِتٌ، أو ضَالٌّ مُقلِّدٌ تقليدًا أَعْمَى؛ فقال فرعون مُموِّهًا على أهل مجلسِهِ: أَلَا تَسْمَعُون ما يقولُ مُوسى؟ فقال موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ إنكارًا

(1) أي: فَسَدت واخْتلَطت.

عليهم أنَّهم أَنْكَرُوا أمرًا لَمْ يَزَالُوا ولا يَزالون إليه مُضطرِّين مُفتقرين كلَّ وقتٍ، وهو رُبُوبيَّة الله لهم ولآبائهم الأَوَّلين الَّتي لا يمكن إنكارها، فهو الَّذي رَبَّاهم بخَلْقه ونِعَمه صغارًا وكبارًا، هُمْ وأُصُولهم وفُرُوعهم وسائر الخَلْق، ولكنَّهم بَاهَتُوا، ومِنْ مُبَاهتتِهم ومُكَابرتِهم: رَمْيه لِمُوسى بالجُنُون، وهو يعلم أنَّه أكملُ النَّاس عقلًا، وهو الَّذي أَقَامَه وأَقْعَده وأَحْرجه في أحواله كُلِّها؛ فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ [الشعراء:27].

فلمَّا رآه يُكَابر ويَجحد رُبُوبيَّةَ الله للخَلْق الَّتي لا يمكن المكابرة فيها، قال له: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ [الشعراء:30] ظاهرٍ واضحٍ قويٍّ، دالٍّ على صِدْقِي وصِحَّةِ ما جئتُ به، وأنَّ الجَاحِدِين هُمُ المُبْطلون، فَذَكَر الآياتِ، وما جَرَى له مع فِرْعون، وكيف اعْتَرفَ السَّحَرةُ كلُّهم أنَّه مِن عِند الله، وأثَّر فيهم، وآمنوا الإيمانَ الصَّحيحَ الصَّادر عن قُوَّةٍ وبَصِيرةٍ وخِبرةٍ تَامَّةٍ، ولَمْ يُبَالوا بالمُعَارَضَاتِ، وما أَصَابَهم مِن فِرْعَون، وظَهَر الحقُّ، وبَطَل ما كانوا يعملون(1).

فهذه في الحقيقةِ حالةُ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين مع جميع الرُّسُل، ولقَدْ قَصَّ اللهُ

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف:113 – 126].

علينا مِنْ نَبأهم ما فيه عبرةٌ للمُعْتبرين، وحُجَّةٌ على المعاندين، وكَمْ في الكتاب والسُّنَّة من الدِّلالات العقليَّة والنَّقليَّة على ذلك؛ فمَنْ جَحَد ذلك، أو شَكَّ فيه فبأيِّ حَقِيقةٍ يَعترف؟ ومَنْ أَنْكَره ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية:6 - 8].

❁ الوجه الثامن والثلاثون: [إنكار وجود الله إساءة إلى المجتمع]:

أن يُقَال لهَؤُلَاءِ المُلْحِدين المَاديِّين: هَاتُوا بُرْهَانكم ومِيزَانكم الَّذي تَزْعُمون أنَّه مِيزان الحَقَائق، وقَابِلُوه بميزان الحَقِّ اليَقين، وهو مِيزان الدِّين، زِنُوا الحَقَائق مُفصَّلةً حقيقةً حقيقةً، وَاعْرِضوها على ذَوِي العُقُولِ الصَّحيحة والأذهان والمعارف الصَّادقة، فإنَّه يَتَّضح عند ذلك أنَّهم كانوا كاذبين مُبْطلين.

أوَّل ذلك أن يُقَال: قَابِلوا بَيْن أيِّ مَوْجُودٍ مِن المَوجودات الَّتي اخْتَصَصْتُم بإثباتِها، أو الَّتي اشترك بَنُو آدمَ في إثباتِها، وبَيْن وُجُود الخَالق، فإنَّ وجودَ الخالق -جلَّ جلالُهُ وتَقدَّست أسماؤه- وجودٌ واجبٌ، مستحيلٌ وممتنعٌ ثبوت نقيضه، فهو أعظمُ الموجودات وأظهرها.

بل لا وُجُودَ لشيءٍ من الأشياء إلَّا بإيجاده، ووجود ما سواه من المخلوقات والحوادث مُفتقرةٌ غايةَ الافتقار إلى ربِّها، ليس لشيءٍ منها من نفسِهِ وجودٌ، فليس لَها إلَّا العدم، فهي حادثةٌ بعد العدم، ومضطرَّةٌ إليه كلَّ وقتٍ بعد الوجود، لو قَطَع عنها الأمورَ الَّتي حفظها بِها وأبقاها لاضْمَحلَّتْ.

واللهُ تعالى وُجُودُهُ مركوزٌ في العُقولِ والفِطَرِ، معلومٌ بالضَّرورة وبالطُّرق

الَّتي هي أقوى الطُّرق الدَّالَّة على الحقِّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:62].

فحَصَرَ الحقَّ فيه؛ إذ هو الحقُّ الوَاجِبُ في ذاتِهِ وأَسْمائِهِ وصفاتِهِ وأَفْعالِهِ، ولا حقَّ لشيءٍ من الأشياء إلَّا باستناده إليه، فهو واجبُ الوجودِ، المُوجِدُ لكلِّ موجودٍ.

فَوَاعَجَبًا كيف يُعْصى الإِلَهُ؟! أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُه الجَاحِدُ؟!
وفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّه وَاحِدُ[1]

أَلَمْ تَرَ إلى الَّذين يُجَادِلُون في آيات الله: أنَّى يُصْرفون عن الحقِّ الَّذي هو أظهر الأشياء وأوضحها؟! ولكِنَّ العِلَّةَ والسَّببَ الَّذي حَمَلَهم على هذه المُجَادَلَةِ البَاطِلَةِ قولُه عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ [غافر:70].

فتكْذيبُهم بجميع الكُتُب الْمُنَزلة مِن عند الله وبجَمِيع الرُّسُل- مَنَعهم من قَبُول الحقِّ الَّذي لا حَقَّ غيرُه، وتَرَكَهم في ضَلالهم وطُغْيانِهم يَعْمَهُون، ثُمَّ ذكر وعيده لهم بقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ

---

(1) اختُلِف في نِسبته؛ فَنَسَبه الصَّفَدي إلى أبي فِرَاس؛ انظر «الوفيات» (7/ 138)، وأمَّا أَبو الفَرَج فَنَسَبَه في «الأغاني» (4/ 35) إلى أَبي العَتَاهية حيث قَالَ عَن الخَليل بن أَسَد النوشجاني: «جَاءَنا أبو العَتَاهِية إلى مَنزلنا، فقال: زَعَم النَّاسُ أَنِّي زِنديقٌ، واللهِ مَا دِيني إِلَّا التَّوحيدُ، فقلنا له: فَقُل شيئًا نَتَحدَّثُ به عَنك! فقال:

أَلا إِنَّنا كُلُّنا بَائِدٌ أَيُّ بني آدم خَالِد؟!
وبَدْؤُهم كَان مِن ربِّهم وَكُلٌّ إلى ربِّه عَائد
فَيَا عجبًا كَيف يُعْصَى الإلهُ؟! أَم كَيف يَجْحَدُه الجَاحِدُ؟!
وفِي كُلِّ شَيء لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّه وَاحِد

﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ الآية [غافر:70، 71].

زِنُوا -أيُّها العقلاء- ما ثَبتَ لرَبِّكم العظيمِ من الوَحْدَانيَّة في أوصاف الكَمَال، والتَّفرُّد بكلِّ جلالٍ وجمالٍ، والتَّفضُّل بكلِّ خيرٍ ونِعَمٍ جِزَالٍ، وما شَاهَدَتْهُ الخَلِيقةُ مِن عِنَايتِهِ وحِكمتِهِ وإتقانِهِ المَخلوقات في غاية الإحكام والانتظام العَجيب الَّذي حَسب[1] العُقول والأَفْهَام؛ إذ تَهتدي إلى ما بَثَّه في المخلوقات من حُسْنِ الخَلْق، وبديعِ الصُّنع، ولَطِيف الانتظام، وقِيَام المَنَافع الَّتي لا تُحْصى، المُترتِّبة على ذلك.

ثُمَّ انظروا إلى ما نَشَره مِن رحمتِه الَّتي وَسِعَت كلَّ شيءٍ، فما مِنْ مخلوقٍ يَستغني عن رحمةِ خالِقِه طَرْفةَ عينٍ، فما بالعباد من نعمةٍ ظاهرةٍ ولا باطنةٍ، خَفيَّةٍ أو جَليَّةٍ إلَّا من الله، وهو الَّذي لا يأتي بالخيرِ والحَسَنَات إلَّا هو، ولا يدفع السُّوء والسَّيِّئات إلَّا هو، وهذا من أكبر الأدلَّة على سعةِ عِلْم الله ورحمتِهِ، وشمول حكمتِهِ، وعظمة اقتداره.

وانظر ما في العَالَم العُلويِّ والسُّفليِّ من الحوادثِ والتَّدْبيرات المُتنوِّعة والأفعال العظيمة، وما تدلُّ عليه من عظمة مُدبِّرها وجلاله وكبريائه ومجده، وأنَّه المُتفرِّد بالوَحْدانيَّة والكمال الَّذي لا غاية له، وهذه أمورٌ معلومةٌ بالضَّرورة والمشاهدة.

فهل يَسْتوي مَنْ أثبت ما دلَّت عليه من وَحْدانيَّةِ الله، وثُبُوت أوصافِه وأسمائِه الحسنى، ومَنْ جَحَد ذَلك وأَنْكَره، وردَّ الأدلَّةَ القَواطِعَ، وكَابَرَ وعَانَدَ وجَادَلَ بالبَاطِل؟!

(1) هكذا في النسخ التي اطلعت عليها، ولعلها: «حَيَّر».

وهل يَسْتوي الأمرُ بعبادةِ الله وَحْدَه، وإخلاص الدِّين له، والقيام بحَمْده وذِكْره وشُكْره، والإنابة إليه -الَّتي هي أفرضُ الفُرُوض الَّتي جاءت بِها الرُّسُل، وأفضل ما قام به العِبَاد، واكتسبته القُلُوبُ، وأَعْظَم سَببٍ يُوصل إلى كلِّ خيرٍ وسعادةٍ ومطلوبٍ- أم الأَمْر بِضِدِّ ذلك من الشِّرْكِ بالله، والاستكبارِ عَن عبادتِهِ، وتَعلُّقِ القلبِ بالخَلْق، والوقوف مع المادَّة وعبادتِها؟!

وهل يَسْتوي ما أَمَرتْ به الرُّسُلُ من الصِّدْق في الأقوالِ والأفعالِ، والنَّصيحة لله، ورسولِهِ، وكتابِهِ، ولأئمَّة المسلمين وعَامَّتهم، والأمر بالبرِّ والصِّلة، والقيام بحُقُوق الجيران والأصحاب والمُعَاملين، ومَنْ يَتَّصل بِهم العبد على اختلاف طَبقَاتِهم، أم الأمر بضدِّ ذلك؟!

وهَلْ يَسْتوي الأمرُ بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذي القُرْبى، والنَّهْي عن الفَحْشَاء والمُنكر والبَغي على الخَلْق في دِمَائهم وأَمْوَالهم وأَعْرَاضهم، والتَّعَاون على البرِّ والتَّقْوى، أم الأمر بضدِّ ذلك؟!

وهل تَستقيم الأُمُورُ كلُّها وتَصْلُح الأحوالُ إلَّا بِالْتزامِ ذلك، والعمل به، وهل يمكن القيام بأُصُول الإيمان وشرائع الإسلام، والوفاء بالحُقُوق والعُقُود والعُهُود، والورع عن المحارم القوليَّة والفعليَّة إلَّا من الإيمان بالله واليوم الآخر الَّذي هو أساس الخيرات والصَّلَاح المطلق؟

وهل إذا أَطْلَق المُلْحِدُون المَاديُّون على هذه الأُصُول العظيمة والشَّرائع الجميلة النَّافعة الَّتي لا ينفع غيرها: أنَّها رجعيَّةٌ، ترجع بالنَّاس إلى الوراء، وأنَّها قديمةٌ، والقديم يجب أن يُزهد فيه، ويُحذر عنه؟

هل هذا القول منهم والدِّعاية الخبيثة إلَّا من أكبر الأدلَّة على ضعف عُقُولهم، وسفاهة آرائهم، وكَذبِهم الصَّريح؟

وهل يَستغني العِبَادُ عَنها في حَالةٍ من أحوالهم؟ وهل هي إلَّا أكبر نعمةٍ، وأجلُّ كرامةٍ أَكْرَمَ اللهُ بِها العبادَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:164]، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:103]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:50]؟!

فمَنْ وَزَن بعقلِهِ الصَّحيح ما جاءت به الرُّسُل، وأَمَرتْ به، وأَرْشدتْ إليه من معرفة الله وعبادته، والإنابة إليه، والأمر بالقيام بجميع الحُقُوق كلِّها على وجه العدل والفضل والإحسان، وما نَهَتْ عن ضِدِّه، ثُمَّ نظر إلى ما يدعو إليه أهل الإلحاد، عرف أنَّ الخيرَ والفلاحَ والصَّلاحَ؛ الدِّينيَّ والدُّنيويَّ؛ العاجل والآجل، الظَّاهر والباطن، مع ما دَعَتْ إليه الرُّسُل، وأنَّ المُلْحِدين تَرْمِي دعوتُهم إلى الانحلال من كلِّ خُلُقٍ جميلٍ، والحثِّ على كلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، ومآلها الفَوضويَّة التَّامَّة، والانطلاق مع شَهَوات النُّفُوس حتَّى تكون البهائمُ أشرفَ منهم وأَنْفَع، وهذا هو الواقع بلا ريبٍ، ولسان حالهم ومقالهم يُصرِّح بذلك، فنسأل الله أن يتمَّ علينا وعلى المسلمين نِعَمه، وأن يُثبِّتنا على دينِهِ، ويَزِيدَنا من فضلِهِ وكرمِهِ.

ومن أعجبِ العجائبِ أنَّ كثيرًا من الكُتَّاب العَصْريِّين والسِّياسيِّين الَّذين يَسْعون في معالجةِ كثيرٍ من مشاكل الحياة، ويطلبون حَلَّها من جميع النَّواحي، ومشكلة الإلحاد الَّذي جَرَفَ بِتَيَّارِه أكثر النَّاشئة؛ لَمْ يَسْعوا في حَلِّها ومُدَاواتِها

بالرُّجُوع إلى الإيمانِ الصَّحيحِ، واليقينِ النَّافعِ، والصَّلاحِ المُطْلق من جميع الوجوه، بل تَرَكوهم في ضَلَالهم يَعْمهون، وفي غَيِّهم يَتردَّدون، وازدادت المشاكلُ الَّتي يُرِيدون حَلَّها مشاكل أخرى، تَعذَّر حَلُّها كما هو المَأْمُول.

فكلُّ مشاكل الحياة إذا لَمْ تُبْنَ على الإيمانِ والدِّينِ الصَّحيح ازدادت تَعقُّدًا، وعَظُم ضَرَرُها، وبَعُد خَيْرها، فلو أنَّهم أَسَّسوا مُعَالجاتِهم المُتنوِّعة على الدِّين الصَّحيح، ووَجَّهوا النَّشءَ إلى عقيدتِهِ، والتَّخلُّقِ بأخلاقِهِ؛ لأَثْمَرتْ مَسَاعيهم كلَّ زَوْجٍ كريمٍ، ولتَوجَّهت الوُجوه والأعمال إلى الخير والصَّلاح، وانْصَرفت عن الشَّرِّ والإضرارِ والأعمالِ القِبَاح، فالفساد لا يسودُ إلَّا إذا عُدِم الإيمان الَّذي يُنَافيه، ولا يُجَامِعُه.

❁ الوجه التاسع والثلاثون: [بطلان دعوى المصادفة]:

أَنْ يقال لهَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة المَادِيِّين: مَنِ الَّذي أَوْجَد هذه المخلوقات العظيمة والكثيرة، ومَنِ الَّذي أَحْكَمَها هذا الإحكامَ البَدِيع، ومَنِ الَّذي نَظَّم حَركاتِها العجيبة الَّتي تَحَار الأفكارُ في حُسْنِها وحُسْن نظامِها؟

فسيجيبون: إنَّ هذا كلَّه أثرُ المُصَادفة وأَعْمَالِ الطَّبيعة العَمْيَاء الَّتي ليس عندها عِلْمٌ، ولا قُدرةٌ، ولا إرادةٌ، ولا غيرها من الأوصاف.

وهذا قولهم الَّذي صَرَّحوا به، وَاقْتَدوا فيه بالمُتمرِّدين من أَئمَّتهم الضَّالِّين، فحينئذٍ يَتَّضح لك أنَّ عُقُولَ هَؤُلَاءِ أقرب إلى عُقُول المَجَانين منها إلى عُقُول الصِّبيان الَّذين لا يَعْقِلون، فلو تُرِكتْ هذه العوالِمُ العظيمةُ ساعةً واحدةً، بل لحظةً واحدةً للمُصَادَفة والفَوْضَويَّة؛ لزالتِ السَّمَاوَاتُ والأرضُ، واخْتَبطَت

العوالِمُ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر:41].

وإذا أُورد عليهم بعضُ الإيرادات الصَّحيحة المُبْطلة لِقولهم؛ أجابوا بأنَّه يحتمل كذا، ويحتمل كذا، احتمالات في غاية الضَّعْف والوَهَى.

فَيَا عجبًا لمَنْ اغْترَّ باحتمالاتِ عُقُولٍ قَدْ تَبيَّن سَفَاهَةُ أهلِها، وجَراءتُهم، وهُجُومهم على أشرف العُلُوم وأعظم الحقائق، فَأَبْطَلُوها وأَنْكَرُوها، ولا يَغرنَّك كما غَرَّهم مَهَارتهم في بعض عُلُوم الهندسة والطَّبيعة والمخترعات الصِّناعيَّة، فإنَّها لا تُغْني من الحقِّ شيئًا، ولا تدلُّ على فضلِ أهلها الفضلَ الحقيقيَّ، ولا شَرَفهم: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران:196، 197]، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف:26].

واللهُ تعالى جَعَلَ للعُقُول حَدًّا لا تَتعدَّاه، ولا تَتمكَّن من مُجَاوزته، وما أدركتَه وتدركُهُ من المعلومات فهو قليلٌ جدًّا في جانب ما لا تعلمه من هذه العوالِم، فكيف تتجاوز هذه العوالِم الَّتي قصرت العُقُول عن إدراكها حتَّى تجحد الرَّبَّ العظيم الَّذي هذه العوالِم كلُّها داخلةٌ في ملكه وتصريفه وتدبيره، ثمَّ ترجع إلى هذه المخلوقات وما فيها من الحوادث فتَدَّعي أنَّها وليدة المصادفة، من غير خالقٍ خَلَقها، ولا محدثٍ أَحْدَثها، ولا حكيمٍ ابْتدَعها ونظمها، سبحانك هذا بُهْتانٌ وجرمٌ عظيمٌ: ﴿فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [مريم:90، 91]. فكيف بمَنْ جَحَده ونفاه بالكُليَّة؟!

❁ الوجه الأربعون: [من الخيانة قطع علماء الطبيعة بحوثهم بالله]:

أن يُقَال: من أكبر الخِيَانات للعلم والحقيقة أن تكون بُحُوث علماء الطَّبيعة والموادِّ والعناصر مَبتورةً مَقطوعةَ الصِّلة بالله وبدينه، فإنَّهم يَبحثون في الموجودات بُحُوثًا إضافيةً كثيرةً، ويَسْتخرجون منها فوائدَ كثيرةً.

ولكنهم مع ذلك لا نجدهم يَذْكرون اللهَ فيها، ولا يقدرون قَدْر خالقها ومُدبِّرها، ولا يَشكرون مَنْ أَنْعَم بِها، ولا يذكرون مَشيئةَ الله وإرادته وقُدرته فيها، حتَّى يظنَّ الظَّانُّون، بل يظنَّ كثيرٌ من هَؤُلَاءِ الباحثين أنَّ هذه المَوجودات الَّتي وَقَع البحثُ فيها هي حاصلُ الوجود، لا وُجُود سِوَاها، فيقعون في الجُحُود والإنكار الصَّريح، ويَصِيرون في خَبْطٍ وخَلْطٍ من جهة العقيدة الصَّحيحة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق:5].

فإهمالُ أصلِ الأُصُول من عِلْمهم وذِكْرهم وتَوجُّههم وتَوْجيههم أضلَّ خلقًا كثيرًا، فلو أنَّهم قاموا بِما يجب عليهم وعلى الخَلْق من بناء المعلومات على حقائقها وأُصُولها والموجودات على مُوجِدها، والنِّعَم على مُسْديها، والمُتفضِّل بِها؛ لهُدُوا إلى صراطٍ مستقيمٍ، وسَلِمُوا من الخيانة وطُرُق الجحيم.

❁ الوجه الحادي والأربعون: شهادة الله والقرآن لنبينا محمد ﷺ

إنَّ الله أيَّد رسولَه مُحمَّدًا ﷺ بأمرين عظيمين قائمين إلى يوم القيامة، كلُّ واحدٍ منهما يَشْتمل على براهينَ كثيرةٍ قطعيَّةٍ تدلُّ على وَحْدانيَّة الله وصِدْق رسوله:

أحدهما: شهادة الله له.

والثَّانية: هذا القرآن؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:19].

فأمَّا شهادتُه لرسوله ولِمَا جاء به فَبِقَوْلِه الَّذي أنزله في كلِّ كتابٍ، وعلى لسانِ كلِّ رسولٍ، وشَهِدَ به وتَيقَّنه أهلُ البَصَائر والألباب، وبِفِعْلِه تعالى بِما أَيَّده به من القُوَّة والنَّصر والتَّأييد، وإظهار دينه على الدِّين كُلِّه، وبما أَنْزَلَه في شَرْعه من الأخبار الصَّادقةِ النَّافعةِ والحِكمِ والأحكام والهِداية والإرشاد للصَّلاح المُطلق في جميع الأمور.

فَمَا بَقِي خيرٌ إلَّا أَمَر به، ولا شرٌّ إلَّا نَهى عنه وحَذَّر، ولا طَيِّبٌ إلَّا أحلَّه، ولا خبيثٌ إلَّا حَرَّمه، وذلك في الأُصُول والفُرُوع، وبما جَبَل رَسُولَه عليه من الأخلاق الحميدة الَّتي هي أَعْلى الأوصاف وأكملها، فجَمَع الله فيه وله من الخير والأوصاف الجميلة ما كان مُتفرِّقًا في الكُمَّل من الخُلُق، وفي جميع الشَّرائع، وهي مُشَاهدةٌ مَحْسُوسةٌ يَعترف بِها المُؤمنون به، ويَعْرِفُها غيرُهم، لا يَمْتري فيها إلَّا جاهلٌ أو مكابرٌ[1].

وأمَّا شهادةُ هذا القرآن، فإنَّ اللهَ منذ أنزله إلى أن تَقوم السَّاعةُ قَدْ تَحَدَّى به الإنسَ والجنَّ، وأنَّهم لَمْ يأتوا -ولن يَستطيعوا أن يأتوا- بمثله فيما يَقْدَحون به

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:157].

في هذا الدِّين[1]؛ لبلاغته العظيمة، وحُسْن أسلوبه، وإخباره بالغُيُوب، وما حَكَم به من الأحكام الأُصُوليَّة والفُرُوعيَّة، وما هَدَى وأرشد إليه من الصَّلاح والفلاح والكمال الدِّينيِّ والدُّنيويِّ، وما حَذَّر عنه من الشَّرِّ والإضرار والعُقُوبات العاجلة والآجلة، وما كان فيه من الأحكام الَّتي تَصْلح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وما شرع من الحُقُوق العادلة بَيْن الخَلْق؛ أفرادِهم وجماعاتِهم، إلى غير ذلك من آيات القرآن الَّتي لا يمكن أن يعارضها علمٌ صحيحٌ ولا عملٌ نافعٌ.

وكلُّ خيرٍ لا شرَّ فيه فإنَّه من أحكامه، ومِمَّا دلَّ عليه، فليأتِ المُنكر بمثالٍ واحدٍ صحيحٍ خارجٍ عن هذا الأصل، فمُجرَّد وُقُوف النَّاظرين على هاتين الشَّهادتين العظيمتين، والتَّأمُّل بِما اشْتَمَلتا عليه مِن البَرَاهِين القَاطِعَة عَلَى مَا لله مِن الوَحْدَانيَّة وصفات الكمال والجلال كلِّه، وعلى صِدْق ما جاء به الرَّسولُ؛ يَكفي وَحْدَه في إبطالِ مَا نَاقَضَتْه من أقوال المُلحدين؛ لأنَّه إذا اتَّضحَ الحقُّ، عُلِم يَقِينًا أنَّ ما خالفه باطلٌ، فماذا بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:6]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ

---

(1) فتَحَدَّاهم اللهُ أن يَأتوا بمثلِه فَعَجَزوا؛ قال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:88].

وتَحَدَّاهم أن يَأتوا بعَشْر سُور مِثله؛ فعجزوا؛ قال ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:13].

وتَحَدَّاهم أن يَأتوا بسُورة من مثله فَعَجَزوا، وما زَال التَّحَدِّي قائمًا؛ قال جل وعلا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:23، 24].

﴿يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت:53].

فالحمدُ لله عَلَى ما بَيَّنه لعبادِهِ من الآيات الَّتي لا تَزَالُ مُشَاهَدةً، ولا تزالُ مُتصرفةً مُتنوِّعةً، شاهدةً بصدقِهِ وصدقِ رُسُلِهِ، وكذب الكافرين به، المُكذِّبين لرُسُلِهِ.

﴿ الوجه الثاني والأربعون: الإلحاد مانع من الشكر والصبر:

النَّظرُ الصَّحيحُ إلى ما يَأْمَرُ به الدِّينُ والإيمانُ من تَلقِّي أحوال الحياة والتَّطوُّرات المُتنوِّعة، وما يَتلقَّاه أهل الإلحاد والإيمان بالمادَّة والطَّبيعة، فإنَّه لا بُدَّ للأفراد والجماعات من حُصُول نِعَمٍ ومَسارٍّ، ومحنٍ ومضارٍّ.

فالإيمانُ والدِّين الصَّحيح يأمر عند النِّعَم والمَسارِّ بشكر المُنْعم، والثَّناء عليه بِها، والاستعانة بِها على مقاصد الحياة الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وأداء حُقُوق النِّعَمِ من كلِّ وجهٍ، وعند المَكَاره يأمر بالصَّبْر والرِّضا والاحتساب ورجاء الأجر، مع السَّعْي في دَفْعها قبل نُزُولها وتَخْفيفها، أو دفعها بعد نُزُولها، فيَكتسب المؤمنُ الخيرَ وراحةَ القلب في كلِّ الحالات، وهذه هي الحياة الطَّيِّبة، مع ما يرجو ويطمع فيه من الثَّواب العاجل والآجل.

أمَّا المُلْحِدُون فلمَّا كانت الدُّنيا هي غايتهم: لَها يعملون، ولَها يطلبون، ولا غايةَ لهم سواها، ولا إيمان لهم بغيرها، فإنَّهم يَتلقَّون التَّطوُّرات المختلفة كما تَتلقَّاها البهائم بقُلُوبٍ جشعةٍ، ونَهَمٍ كَنَهَمِ الأنعام أو أَعْظَم، لا يَشكرون على النَّعْماء، بل يكفرون، ويَبْطرون[1]، ويطغون، ولا يَصْبرون على المِحَنِ، بل

(1) **البطر**: الطغيان بالنعمة، والفرح بها، ونسيان شكرها.

يَجْزعون ويَأْلمون كما تَأْلَم البهائم، فتجتمع عليهم الآلامُ الظَّاهرةُ، والآلامُ القلبيَّةُ الباطنةُ؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [مُحمَّد:12].

فآثارُ الإيمانِ الصَّحيح في العاجل والآجل خيرٌ وسعادةٌ وفلاحٌ، وآثارُ الجُحُود شرٌّ وضررٌ وعواقبُ وخيمةٌ.

❁ الوجه الثالث والأربعون: [التقدم العلمي مدمر في حال بعده عن الدين]:

يقولُ المُلْحِدُون: «التَّرقِّي شاملٌ لكلِّ شيءٍ»:

وقَصْدهم بذلك إبطال الأديان، وأنَّ أفكارَهم المنحرفة عن الحقِّ ما زالت تَترقَّى حتَّى في نبذهم الدِّين، واختيارهم للجُحُود، وهذا تُكذِّبه الأديانُ كلُّها، والواقعُ يشهد بكذبِهِ.

وأهلُ العُقُولِ الصَّحيحة مُتَّفقون على أنَّ التَّرقِّي المُشَاهد الآن إنَّما هو منحصرٌ في الصِّناعات والمخترعات، وما يحدث عنها من الأُمُور المَاديَّة.

وأمَّا تَرقِّي الأرواح والأخلاق فإنَّه بالعكس، فإنَّ المَادَّة الَّتي يشترك فيها البرُّ والفاجر والمؤمن والكافر قَدْ تَرقَّتْ تَرقِّيًا عظيمًا، وخصوصًا في هذا القرن.

وأمَّا الأديان والأخلاق فإنَّها في هذا الوقت هبطت هُبُوطًا عظيمًا؛ ولهذا لمَّا كان النَّوْع الأوَّل خاليًا من الدِّين والإيمان، **صار هذا التَّرقِّي الدُّنيويُّ الصِّناعيُّ ضرره كبيرٌ من وجهين:**

أحدهما: أنَّه صار سببًا لاغترارِ كثيرٍ من الخَلْق، وظَنُّوا بجهلهم أنَّ التَّرقِّي

الدُّنيويَّ دليلٌ على أنَّ أَهْله أَوْلى بكلِّ خيرٍ من غيرهم، وجهلوا، بل ضَلُّوا ضلالًا مبينًا، فإنَّ الإنسان قَدْ يَكُون من أَمْهر الخَلْق في أُمُور الطَّبيعة، وهو من أجهل الخَلْق في الدِّين والأخلاق والأُمُور النَّافعة في العاجل والآجل.

الوجه الثَّاني: أنَّ هذه المُخترعاتِ حيث خَلَتْ من رُوح الدِّين ورحمتِه وحكمتِه، صارت نَكْبةً عظيمةً على البَشَر بِما تَرتَّب عليها من الحُروب الَّتي لا نَظِير لَها، والقتل والتَّدْمير وتَوَابع ذلك، وعَجَزَ سَاسَتُها وعُلَماؤها أَنْ يُنظِّموا للبشر حياةً مستقرَّةً عادلةً طَيِّبةً، بل لا يزالون يَنْتقلون من شَقَاءٍ إلى شَقَاءٍ آخَر، وهذا أمرٌ حَتْمٌ لا بُدَّ منه، وجَرَيانُ الأحوال يدلُّ عليه، فالخيرُ كلُّه في الدِّين الصَّحيح، والشَّرُّ كلُّه في الإنكارِ والجُحُودِ، والله أعلم.

يُؤيِّد هذا ويُوضِّحه توضيحًا بَيِّنًا وَاقِعًا:

❁ الوجه الرابع والأربعون: [الماديون عاجزون عن حل مشاكل الحياة]:

وهو أنَّ المَادِّيِّين (رؤساءهم وعلماءهم) لا زالوا مُكرِّسين عُلُومهم وجُهُودهم وأعمالهم في حلِّ مَشَاكِل الحَيَاة، وقَدْ عَجَزوا عنها كلَّ العجزِ، فكُلَّما حَلوا مَشكلةً، نَتَجَ عنها مَشَاكلُ، وكُلَّما وَجَّهوها من جهةٍ، تَبيَّن فيها النَّقْصُ والخللُ والاضطرابُ.

أمَّا هذا الدِّينُ الإسلاميُّ الَّذي جاءَ به مُحمَّدٌ ﷺ، فإنَّه هو الطَّريقُ الوحيدُ الَّذي تَنْحلُّ به جميعُ مَشَاكل الحَيَاة واحدةً بعد الأُخرى، وتَزول به الشُّرُورُ والأضرارُ، وتحصل به الخيراتُ.

ولنذكر نموذجًا من المَشَاكل الَّتي اضطربَ فيها الخَلْقُ اضطرابًا عظيمًا، ولا

سبيلَ لهم إلى الرَّاحةِ والاستقرارِ حتَّى يُفِيئوا إلى الدِّين، فَمِن أَعْظَمِها: مُشكلة العِلم، فإنَّه إذا صحَّ، صَحَّت العقائدُ والأفكارُ، وصلحت الأعمال المَبنيَّة عليه.

وقَدْ كانت شريعة الإسلام تحضُّ على العلم وتُرغِّب فيه، وتأمر بل تفرض على العباد أن يَتعلَّموا جميعَ العُلُوم النَّافعة في أُمُور دينهم، وفي أُمُور دُنْياهم، ومع حَضِّها وتَرْغيبها في العُلُوم، فقَدْ تَكفَّلت ببيانِها وتفصيلاتِها، فقَدْ بَيَّن اللهُ في كتابِهِ، وعلى لسان رسولِه جميعَ ما يحتاجه العباد من عُلُوم العقائد، والأخلاق، والأحكام، والأُصُول والفُرُوع، والعُلُوم المُتعلِّقة بالأفراد والجماعات.

أمَّا العُلُومُ الدِّينيَّةُ فقَدْ فَصَّلَتْها تَفْصِيلًا بعدما أَصَّلَتْها تأصيلًا، والعُلُومُ الدُّنيويَّةُ أَسَّسَتْ لَها الأُصُولَ والقواعدَ، وهَدَتْ إليها، وأرشدتْ لَها العبادَ، فما من علمٍ نافعٍ إلَّا بَيَّنته، وبِهذا يَسِيرُ العلمُ الصَّحيحُ على الطَّريق المُسْتَقِيم، ويَتَساعد علمُ الدِّين وعلمُ الدُّنيا، وما يَتعلَّق بالرُّوح، وما يَتعلَّق بالجسد؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9]، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب:4].

فجَمَع في هذه الآيةِ بَيْن عِلم المَسَائل الصَّحيحة وهي الحقُّ النَّافع، وبَيْن علم البراهين والدَّلائل وهو هداية السَّبيل الموصلة إلى كلِّ علمٍ، المُبَرهنة عن جميع المعارف.

وأمَّا المَاديُّون فهم يَخصُّون بالعلم عُلُومَ الدُّنيا الَّتي هي وسائلُ لغيرها، ويقدحون وينكرون العُلُومَ الدِّينيَّةَ الَّتي لا تنفع عُلُومُهم بدونِها، ولا يَترجَّح خيرُها على شَرِّها حتَّى تستند وتعتمد عليها، وبِهذا تَخبَّطتْ عُلُومهم، وبَقَوْا في أَمْرٍ مَرِيجٍ مُتَنَاقِضِين، مُتَضَاربة آراؤهم، غير مُستقرَّةٍ أفكارهم، فلم يَحلُّوا مشكلة العلم بوجهٍ من الوجوه، بل عُلُومهم القاصرة أَطْغتهم، واسْتَكْبروا بِها عن عُلُوم

الرُّسُل، وعن الحقِّ الصَّريح المُبين.

ومن المَشَاكل: مَشكلة الغِنَى والفقر، وقَدْ تَقدَّم أنَّ هذا الدِّين حَلَّها حلًّا تتمُّ به الأُمُور، وتحصل الحياة الطَّيبة، وأنَّه كما أمرَ بسُلُوك الطُّرق المشروعة في أسباب الرِّزْق المناسبة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وشخصٍ.

فقَدْ أَمَر بالاستعانةِ بالله في تحصيلِها، وأن تُجْتَنَبَ الطُّرقُ غيرُ المَشروعة، وأَنْ نقوم بواجبات الغِنَى المُتنوِّعة، وكذلك عند حُلُول الفقر؛ أَمَر بالصَّبْر، وتَلقِّي ذلك بالتَّسْليم وعدم التَّسخُّط، مع السَّعْي في طلب الرِّزْق بأنواع المكاسب والأعمال، ونَهى عن البطالة والكسل الَّذي يضرُّ في الدِّين والدُّنيا.

ومع أَمْرِه بالصَّبْر وفِعْل الأسباب الدَّافعة للفقر، والمُخفِّفة له، فقَدْ نَهى عن ظُلْم الخَلْق في دمائهم وأعراضهم وأموالهم، والتَّوثُّب على حُقُوقهم بغير حقٍّ، كما هو دأب الفقراء الَّذين لا دين لهم.

ومن ذلك: مَشَاكِل السِّياسات الكِبَار والصِّغار، أَمَر بحلِّها، وذَكَر الطُّرق الموصلة إلى ذلك بفعل ما تَوضَّحتْ مصلحتُهُ، وتَرْك ما تَبيَّنتْ مفسدتُهُ، والمشاورة في الأمور المُشْكلة والمُشْتبهة في كلِّ قليلٍ وكثيرٍ، وهذه أصولٌ لا يمكن بَسْطها في هذه الرِّسالة المختصرة، ولكن نموذج منها يكفي اللَّبيب.

ومن ذلك: مشاكل الحُقُوق والمعاملات، فقَدْ أَتَى الدِّينُ فيها بغاية العَدْل، وأَمَر بالقيام بالحُقُوق على اختلاف أنواعها: الحُقُوق الرَّاتبة، والحُقُوق العَارِضَة، وهي في أكمل ما يَكُون من الحُسْن، وبِها يَنْدفع الضَّرر والشَّرُّ والخصام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:50].

وبالجملة: فما مِنْ مشكلةٍ كبيرةٍ ولا صغيرةٍ إلَّا إذا بُنِيَتْ على الشَّريعة

الإسلاميَّة المَحْضَة؛ تَمَّتْ أُمُورُها، واسْتَقَامَتْ أحوالُها، وصَلحت من جميع الوجوه، ولا فرقَ بَيْن مُكَافأة المُحْسِنين في الدُّنيا والآخرة، ومُعَاقبة المُجرمين كذلك، والله أعلم.

﴿ الوجه الخامس والأربعون: [بطلان وصف إلحادهم بأنه تقدم ورقي]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين رَوَّجوا إلحادَهم بتحسينِ ما هُمْ عليه بأوصافٍ إذا سَمِعها الجاهل هَالَتْه، وَاغْترَّ بِها، وظنَّ صِدْقها، وكلُّ منصفٍ عارفٍ يعرف كذبَها وبطلانَها، فزَعَموها تجديدًا ورقيًّا وتَقدُّمًا إلى الأمام، وما أشبه ذلك من العبارات الَّتي يغترُّ بِها الجاهلون.

وأمَّا البصيرُ العاقلُ فيعلم أنَّ كلَّ تَقدُّمٍ ورُقيٍّ رُوحيٍّ ومَادِّيٍّ؛ فالدِّين قَدْ أتى به على أكملِ الوُجُوه وأَسْلَمِها من الضَّرَر والفساد، فإنَّ الدِّين كما أمر بإصلاح الدِّين فقَدْ أمرَ بإصلاح الدُّنيا الإصلاحَ الحقيقيَّ النَّافعَ عاجلًا وآجلًا، عكس ما كَذَب عليه أعداؤه بأنَّه مُخَدِّرٌ مُفَتِّرٌ[1].

---

(1) ومِن ذَلك مَقَالة الهَالك كَارل مَاركس؛ مُؤسس الفِكر الشُّيوعي: «إنَّ الدينَ هو إفيون الشُّعوب».
والشيوعية: مَذهبٌ فِكريٌّ يَقومُ على الإلحادِ، وعلى أنَّ المَادة هي أَسَاسُ كُلِّ شَيء.
فأوَّلُ مُعتقداتها: إنكار وُجود الله ﷻ وكل الغَيبيات، والقَول بأنَّ المَادَّة هي أساسُ كُلِّ شيء.
وشعارهم: الإيمان بثلاثة: ماركس، ولِينين، وستالين، والكفر بثلاثة: الله، الدِّين، المِلكية الخاصَّة.
وهم يُحَاربون الأديان، ويَعتبرونها وسيلةً لِتخدير الشُّعوب، وخَادمة للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال- مُستثنين من ذلك اليهودية؛ مُعلِّلين ذلك بأنَّ اليَهودَ شَعبٌ مَظلوم يَحتاج إلى دينِه؛ لِيستعيدَ حُقوقه المُغتصبة.
ويعتقدون بأنَّه لا آخرةَ، ولا عِقابَ، ولا ثَواب في غير الحياة الدنيا. عليهم لعائن الله المُتتابعة!

فالدِّينُ أعظمُ قُوَّةٍ تَدفع العبادَ إلى التَّقدُّم الصَّحيح، كما قَدْ فُصِّل في مَوْضِعٍ آخر، فَمَحَاسِنُ الدِّين الإسلاميِّ أَرْسَى من الجبال الرَّواسي، وأغلى من النُّجُوم الدَّراري، وأَجْلَى نورًا من الشَّمْس المُشْرقة، لا يُقَابلها ضِدُّها، ولا يُقَاوِمها البَاطلُ المُبهرجُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:81].

ولولا أنَّ الباطل قَدْ زُخْرف، ورُوِّج بالعبارات والدِّعايات المُتنوِّعة، ونَصَرتْه الدُّولُ المُنحرفةُ؛ لَمْ يَقبله عَاقلٌ، ولا أَصْغَى إليه لبيبٌ، ولَعَرَفَ النَّاسُ أنَّه أعظمُ ظُلمةً من اللَّيل، وأَضْعَف من كلِّ ضعيفٍ.

وإذا أردتَ أن تعرف ذلك، فقَابِلْ بَيْن أُصُول الدِّينِ ومَسَائِله، وما يُرَغِّب فيه، وما يُحذِّر عنه، وبَيْن ما يُنَاقِضها من أقوالِ أهلِ الإلحادِ، تجد أقوالَهم تَضْمَحِلُّ وتَتَلَاشَى، ويَظهر بطلانُها بِهذه المقابلة.

فإنَّ الضِّدَّ يُعْرف بضدِّه؛ فلولا اللَّيلُ ما عُرِف النَّهار، ولولا الباطلُ لَمَا ظَهَرت براهينُ الحَقِّ هذا الظُّهور في قُوَّتِها، وحقيقتها، ووضوحها، وصِدقها، وحُسْنها، وهذا من الحِكمة في مُقَابلة الباطل للحقِّ، كما أنَّ مِن الحكمة أَنْ يَتبيَّنَ الصَّادقُ من الكاذب، والمؤمن من ضِدِّه، والصَّحيح من الفاسد: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:42].

وبِهذه المُقَابلة وظهور الحقِّ، تجد الحقَّ يُشْبه بعضُه بعضًا، ويَشهد بعضُه لبعضٍ في غاية الإحكام والإتقان: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:82]، وتجد الباطلَ يُبْطِل بعضُه بعضًا، وأهلُهُ في غاية التَّناقض، بل تَجِدُ الوَاحِد مِنهم مُتَنَاقضًا، مُتَهافتة أقوالُهُ.

ثُمَّ انظر إلى الحقِّ ووُضُوحِهِ، ووُضُوحِ ما دلَّ عليه من الكتاب والسُّنَّة، وما يُؤيِّد ذلك من الفِطَر المُسْتَقِيمة، والعُقُول الصَّريحة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:33].

فالحقُّ مسائلُهُ هي الصَّادقة النَّافعة، وأحسنُ التَّفسير تفسيرُهُ وحدودُهُ الواضحة.

وأمَّا ضدُّه فإنَّ مسائلَه باطلةٌ وضَلَالٌ، وحُدودَه في غاية القَلَقِ والالْتِوَاءِ والصُّعوبة والهَذر الكثير الَّذي ليس له حاصلٌ[1]، ولا مَعَاني يُحصِّلها القارئُ بسهولةٍ، وإذا وصل إليه وَجَدَه: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور:39،40]؛ ظُلْمة الضَّلال والجهل المُركَّب والبَسيط، وظُلْمة الكِبْر والغُرُور.

❁ الوجه السادس والأربعون: [محال أن تهذب علوم المادة المحضة النفوس]:

أن يُقَال: إنَّه مُمتنعٌ كلَّ الامتناع، ومُستحيلٌ أن تَتهذَّب النُّفوسُ، وتُكتسب الفَضَائل بعُلُوم المادَّة المَحْضَة وأعمالها، والتَّجاربُ والمشاهدةُ أكبرُ بُرهانٍ على ذلك، فإنَّها مع تَطوُّرها وتَبحُّرها عَجزَتْ كلَّ العَجْز عن تَهْذيب النُّفُوسِ وإصلاحِها الَّذي يَتوقَّف عليها صلاحُ البشر.

وإنَّما الَّذي يَتكفَّل بِهذا الإصلاح، ويَتولَّى هذا التَّهْذيب الصَّحيح، ويُوجِّه

(1) الهذر: التخليطَ، وَالكَلامَ بِمَا لَا يَنْبَغِي. انظر «المصباح المنير»، مادة (هذر).

الأفكارَ إلى العُلُوم الصَّادقة، ويُوجِّه الأعمالَ إلى الخير، ويزجرها عن الشَّرِّ؛ هو ما جاء به الدِّينُ الإسلاميُّ، فهو مصلحٌ للعقائد والأخلاق، ومُهذِّبٌ للأفكار، وحاثٌّ على الفضائل، وزاجرٌ عن الرَّذائل.

فرُوحُ ما دعا إليه الدِّينُ: الإيمانُ بالغيب الَّذي يَدخل فيه الإيمانُ بالله، وبما له من الأسماء الحُسنى والصِّفات والأفعال، ويَدخل فيه الإيمان بالملائكة، وبالجزاءِ العَاجِلِ والآجلِ على الأَعْمَال؛ حَسَنِها وسَيِّئها الَّتي لا تُعْرف إلَّا من جهة الرُّسُل، فعُلِم بِهذا أَنَّه يَتعذَّر الإصلاحُ الحقيقيُّ بغير الإيمانِ الصَّحيحِ والدِّين الإسلاميِّ.

فعُلُومُ المَادَّة -وإِن ارْتقَتْ فَوق ما يعلمُه النَّاسُ أضعافًا مُضَاعَفةً- فإنَّها لا تَبْلغُ قَريبًا من عُلُوم الأنبياء، ولا تَصِلُ إلى ما وَصَلتْ إليه، ولا تُذْعن لَها النُّفُوس، ولا يَكُون لَها من التَّأثير على النُّفُوس ما لعُلُوم الأنبياءِ صلوات الله وسلامه عليهم، فإنَّ النُّفُوس لا تُذْعن إلَّا عند إيمانِها باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخر، وبدون ذلك يَمْتنع الإذعانُ، كما هو معلومٌ من الطِّباع البشريَّة.

❁ الوجه السابع والأربعون: [القرآن أكبر البراهين على صدق خاتم المرسلين]:

القرآنُ العظيمُ أكبرُ البَراهين والأدلَّة الدَّالَّة على وحدانيَّة الله وكمالِهِ، وصِدْق رُسُلِه بأنواع إعجازه، ببلاغتِهِ وأسلوبِهِ وتأثيرِهِ، وإخبارِهِ بالغُيُوبِ الماضية والحاضرة والمستقبلة، واتِّفاقه وعدم اختلافه، وتشريعه، وإصلاحه جميع ما يحتاجه البشر.

وأنَّه على اتِّساع عُلُوم الطَّبيعة والعُلُوم العصريَّة، لَمْ يأتِ علمٌ صحيحٌ ينقض

شيئًا من أُصُولِهِ، وإخباره بعُلُومٍ لَمْ تكن موجودةً وقت تَنْزيله، وكون الَّذي أتى به لَمْ يكن يقرأ كتابًا، ولا يَخطُّه بيمينِهِ[1]، ولا تَعلَّم من أحدٍ، بل زَكَّى به العباد، وكَمَّل به الفضائل، وعَلَّمهم ما لَمْ يَكُونوا يعلمون[2].

وهذه المُجملاتُ تحتاج إلى تفصيلٍ كثيرٍ، فمَنْ نَظَر إلى هذا جَزَمَ جَزْمًا لا يُمْتَرَى فيه بأنَّه تَنْزيلٌ من حَكيمٍ حَمِيدٍ، لا يأتيه الباطلُ مِن بَيْن يَدَيه ولا مِن خَلْفِه[3]، وبِهذه الوجوه وغيرها أَحْدَثَ في الأرض انقلابًا عظيمًا لَمْ يُعْهد له مَثِيلٌ، وكانت قَدْ مُلِئت الأرض من الشُّرُور المُتنوِّعة فأزالها، وتَلوَّثت القُلُوبُ بالعقائد الخبيثة والأخلاق الرَّذيلة فاقتلعها[4]، وأحلَّ مَحلَّها الهِدَاية والمَعَارف والرُّشد والإصلاح، فهو الدَّليل والبرهان، وهو الحُجَّة على تَوَالي الزَّمان: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف:9].

فالقرآنُ زَلْزَلَ بتأثيرِهِ عَقَائدَ الجَاحدين، وأَقَضَّ مَضَاجِعَهم، وبَدَّل عقائدَ

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [العنكبوت:48].

(2) قال الله ﷻ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة:151].

(3) قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت:42].

(4) أخرج مسلم (2865) عن عياض بن حمار المجاشعي ﵁ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خُطبته: «**أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلتم، مِمَّا عَلَّمني يَومي هذا: كُلُّ مَالٍ نَحَلتُه عَبدًا حَلَالٌ، وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادي حُنَفَاء كُلهم، وإِنَّهم أَتَتْهُم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهم عَن دِينهم، وحَرَّمَت عَليهم مَا أَحْلَلْتُ لَهم، وأَمَرَتْهم أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَم أُنْزِل به سُلْطَانًا، وإِنَّ اللهَ نَظَر إِلى أَهْل الأَرْض، فَمَقَتَهم عَرَبَهم وعَجَمَهم، إِلَّا بَقَايَا مِن أَهْل الكِتَاب...**».

المُؤمنين وأخلاقَهم وأعمالَهم بعقائدَ هي أَصْلَح العَقَائد وأَنْفَعها، وأخلاقٍ هي أحسن الأخلاق وأحمدها، وأعمالٍ هي أكمل الأعمال.

﴿ الوجه الثامن والأربعون: [كمال أخلاق النبي ﷺ وتأييده بالمعجزات دليل على صدقه]:

مَنْ عَرَفَ حَالَ النَّبِيِّ مُحمَّدٍ ﷺ، وما هو عليه من الأخلاق العَالية، وما أُعْطِي من العُلُوم النَّافعة الشَّاملة لكلِّ ما يَحتاجه الخَلْق، وما أُيِّد به مِن الآياتِ والبَرَاهين المُتنوِّعة من كلِّ وجهٍ لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، كلُّ جنسٍ من آياتِهِ، بل كلُّ نوعٍ، بل كلُّ فردٍ منها، يدلُّ أكبر دلالة على أنَّه رسول الله حقًّا، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، وما خالفه باطلٌ.

فوقوفُ العَاقِلِ البَصِير على بعضِ آياتِ الرَّسول في نفسِهِ، وفي شرعِهِ، وفيما أُيِّد به- يَعرف به بُطلانَ أقوالِ المُلْحدين، وبُطلان مذهب المَاديِّين المُنكرين لله ولرُسُلِه ودينِه، وأنَّ هذا الإنكارَ منهم أكبرُ بُرهانٍ على ضَلَالِهم وجَهْلهم البَليغ بالحقِّ المُبين.

وتَفصيل هذا الوجه يَسْتدعي مُجلَّداتٍ؛ ولهذا كلُّ نَوعٍ من آيات الرَّسول صُنِّفتْ فيه المُؤلَّفات على حِدَته، فازدادَ به المُؤمنون إيمانًا، وقامت الحُجَّةُ على المُعَاندين المُنْكرين، وقَدْ قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:53].

ولكن هَؤُلَاءِ المَاديِّين يُشَاهِدُون من آيات الله ما يضطرُّ كلُّ عاقلٍ إلى الإيمان واليقين، وهم يَتلمَّسون لَها التَّحريفات والتَّحليلات الباطلة؛ ليدخلوها

في عِلمِهم القَاصِر، وينكروا بذلك قُدرة الله، خصوصًا في هذه الأوقات الَّتي ارْتَقتْ فيها علوم المادَّة ارتقاءً هائلًا، وهو من أعظمِ الأدلَّةِ على وَحْدَانيَّة الله، وكمال قدرته وحكمته ورحمته، ولكن هَؤُلَاءِ كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:96، 97].

فصارت عُلومُهم ضَرَرًا عليهم، وخَطرًا عظيمًا على جميع البشر؛ ضررًا عليهم لأنَّهم تَكبَّروا بِها، وفَرِحُوا بِها، واحتقروا واستهزؤوا بِما جاءت به الرُّسُل، وصارت خطرًا على جميع البشر، بِما يَترتَّب وسَيترتَّب عليها من الفَنَاء والخَرَاب والتَّدمير: تدمير النُّفوس، وتدمير الأخلاق، نسأل الله العافية والسَّلامة بمَنِّه وكرمِهِ.

❁ الوجه التاسع والأربعون: [الإسلام دين الفطرة والحكمة]:

أن يقال لهَؤُلَاءِ المُلْحِدين القادحين في الدِّين: قَدْ عَلِم أُولو الألباب والنُّهَى، وأهل البَصَائر والعقول أنَّ دينَ الإسلام الَّذي جاءت به الرُّسُل، ثُمَّ جاء به مُحمَّدٌ ﷺ مُكمِّلًا مُتمِّمًا مُعمِّمًا هو: دين الفِطرة السَّليمة، والحكمة العِلْمِيَّة والعَمَليَّة، والعقل والفكر والبرهان، والحُجَّة والحُريَّة الصَّحيحة، والاستقلال الصَّحيح، كما وَصَفَه اللهُ ورسولُه في آياتٍ كثيرةٍ، وأخبارٍ صحيحةٍ، وكما هو المَعروفُ المُشَاهدُ المَحْسُوسُ في هذا الدِّين، واشتمالُهُ على هذه الأوصاف العظيمة يُعْلم به علمًا يَقينيًّا لا شكَّ فيه أنَّه الحقُّ، وما نَاقَضه فهو الباطل.

فهذه الأوصافُ الَّتي وُصِفَ بِها الدِّينُ، وحَقَّقتها المُطَابقةُ والمُشَاهدةُ-

تَضطرُّ العقلاءُ إلى الجَزم بأخبارِهِ، والتَّحقُّق بأخلاقِه وآدابِه، وسلوك جميع ما أرشد إليه من الهِدَايَات المُتنوِّعة، واللهُ يَهْدِي مَنْ يشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ.

﴿ الوجه الخمسون: [شريعة النبي ﷺ أكبر دليل على أن ما جاء به هو الحق]:

إنَّ الإصلاحَ العِلميَّ الواسعَ لأمور الدِّين ولأمور الدُّنيا بأنواعه من جميع الوجوه الَّتي جاء بِها مُحمَّدٌ ﷺ مع تنفيذِه عَمَلًا من أَكْبَرِ الأدلَّةِ على وَحْدَانيَّة الله، وأنَّه الحقُّ، وقولُهُ حقٌّ، ورسلُهُ حقٌّ، ودينه هو الحقُّ، فإنَّ البَشَر (الأمم السَّابقين واللَّاحقين) لَمْ يَشْهَدُوا لهذا الإصلاح نظيرًا ولا مُقَاربًا بوجهٍ من الوجوه.

والاستقراءُ والتَّتبُّع أكبرُ شَاهدٍ لهذا الأمر، وهذا البُرهان الوَاسِع الكبير، ممَّا تَضمحلُّ مَعَهُ جميع أُصُول المُلْحدين، فكيف إذا انضمَّ إلى ما قبله، وما بعده، وما لَمْ نَذكره من البرَاهين القَوَاطِع والآيات السَّوَاطع، والحمد لله ربِّ العالمين.

وجميعُ عُلُوم البشر -على اتِّساعها وتَفوُّقها- لا تَفِي بِهِدَايتهم إنْ لَمْ تستند إلى تعاليم الدِّين، وإذا شككت في هذا فانظر آثارَها وما ترتَّب عليها من الشُّرور، الَّتي تفاقم شرُّها، وتَعذَّر حَسْمُها، وعظمت فَجَائِعُها، وقَلَّت رحمتُها وعَدْلُها، وهي كُلَّما اتَّسعَتْ بوجهها ومخترعاتِها، ازداد ضررُها العظيمُ، واضمحلَّ ما يَرْجوه العُقلاءُ من خيرِها العَميمِ؛ لأنَّها بُنِيتْ على الكُفرِ والإلحادِ والجَحْدِ لدين ربِّ العباد، فَصَارت مُلَازمةً للشُّروطِ والفَسَادِ.

❁ الوجه الحادي والخمسون: [الموازنة بين سيرة المؤمنين وسيرة الملحدين]:

قال الله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل:22]؛ فذكر وَحْدانيَّته الَّتي هي أظهر الأشياء وأوضحها، **وأنَّ النَّاس انقسموا نحو هذه الحقيقة قسمين:**

قِسْم سَدَّ على نفسِه بابَ الإيمان بالآخرة، فانسدَّت حولَه أبوابُ الهِدَايةِ، فصارت قُلوبُهم مُنكرةً لأظهر الأُمُور وأعظمها الَّذي وجوده وصفاته أوصافٌ واجبةٌ لازمةٌ يستحيل ضدُّها، وحين أنكرت قُلوبُهم، استكبروا عن الانقياد لربِّهم ظاهرًا وباطنًا، فهم مُلْحِدون مُتمرِّدون، وَصْفُهم الإنكارُ والاستكبارُ، ومَنْ كان على هذا الوصفِ فإنَّه قَدْ بَرْهَنَ على مُكَابَرتِهِ ومُبَاهَتتِهِ، ولو جاءته كلُّ آيةٍ وبُرْهَانٍ لَمْ يُؤمن، ولَمْ يَنْقد.

وأمَّا القِسْمُ الثَّاني: فهم المُؤمنون بالآخرة، الَّذين يَعْلَمُون أنَّ البَشَر لَمْ يُخْلقوا سُدَى مُهْملين، بل خُلِقوا بالحقِّ وللحقِّ، والجزاء بأعمالهم[1]، فهَؤُلَاءِ قُلوبُهم مُعْتَرِفَةٌ بالله، مؤمنةٌ بوَحْدانيَّته: وحدانيَّة الذَّات، ووحدانيَّة الصِّفات، وَهُمْ خاضعون لله، مُنْقادون له ظاهرًا وباطنًا.

وبِهذا الاعتراف والانقياد بَلَغوا من الفضل والكمال البشريِّ ما شَهِدَ لَهُم به الواقعُ والتَّاريخُ والمَحْسُوس من الكمالِ العِلْمِيِّ والعَمَليِّ والرَّشاد والإرشاد.

فالبصيرُ العاقلُ بمُجرَّد ما يَنظر إلى الفَرْق بَيْن الفَريقين في أحوالهم

---

(1) أي: بسبب أعمالهم، وقال الله ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون:115، 116].

وأوصافهم وآثار أعمالهم- يَعترف، ويَستيقن بيقينِهم وصِدْقِهم وصِدْقِ ما بَنوْا عليه إيمانَهم وأعمالَهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:53].

ففي هذا الجانبِ الرُّسُلُ العِظَامُ وأصحابُهم الكِرَامُ، وأئمَّةُ الهُدى والأَحْبَارُ، وطبقاتُ العلماء، وأكابرُ العَارفين، وجميعُ طبقات المؤمنين الَّذين هم نُور الوجود، وحياة الدُّنيا والدِّين، بِهم قام الدِّينُ، وبه قاموا، وبِهم صَلحت الأحوالُ، وهم أَهْلُ الهُدَى والسَّعَادة والخير والفلاح والخير المُتنوِّع من كلِّ وجهٍ.

وفي الجانبِ الآخَرِ كُلُّ مُلْحِدٍ زنديقٍ، وكلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، الَّذين قال اللهُ في وَصْفهم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص:41، 42].

فمَنْ لَمْ يُؤمن باللهِ وبآياتِهِ، فبأيِّ حديثٍ بعد الله وآياتِهِ يؤمنون: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية:7-9] جَزاءً لهم على استهانتهم بآياتِ الله، واستهزائهم بِها.

وبِهذا الإنكارِ والاستهزاءِ سُلِبوا مَنَافعَ عُقولِهم، ومَرَجَت أَخْلَاقُهم، وسَفِهَت آرَاؤهم، وصارت البهائمُ أَحْسَن حالةً منهم، حتَّى ولو كان لهم أذهانٌ وذكاءٌ وعقولٌ، كما قال اللهُ عن أمثال هؤلاء: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:26].

الوجه الثاني والخمسون: [نبوءة النبي الأمين ﷺ بما سيكون من الملحدين]:

ثَبَتَ في «الصَّحيحين» أنَّه ﷺ قال: «**لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُون، حتَّى يَقُولوا: هذا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فمَنْ وجد ذَلِكَ فَلْيَنْتَهِ، وَلْيَتعوَّذ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وليَقُل: آمَنْتُ باللهِ**»[1].

وهذا مِصْدَاقه ما وقع من مَلَاحدة المَاديِّين الَّذين لا يزالون يَخُوضون في مادَّة المخلوقات، ولهم نَظريَّاتٌ مُتنوِّعةٌ كلُّها خاطئةٌ؛ لأنَّ مَبْنَاها عَلى الخَرْصِ[2] والظَّنِّ الَّذي لا يُغْني من الحقِّ شيئًا، بل على خلاف المعلوم شرعًا وعقلًا وفطرةً، فيَتكلَّمون في عِلَل الموجودات عِلَّةً بعد أخرى، ولَمْ ينفذوا منها إلى مُوجِدها وخالقها، بل أَطْلَق عليه كثيرٌ من هَؤُلَاءِ المُتجرِّئين أنَّه عِلَّة العلل.

فقطع النَّبِيُّ ﷺ بِهذا الكلام الصَّادق الحكيم بكَذبِهم، ونبَّه على جَهْلهم وجَراءتِهم، وأرشد المؤمنين إلى قَطْع هذه الشُّكوك والتَّشكيكات بالانتهاءِ والوقوف على أنَّ جميع الموجودات كلَّها تنتهي إلى مُوجدٍ واحدٍ أحدٍ فردٍ صمدٍ، الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ، المُوجِد لكلِّ شيءٍ، وأمر بالتَّعوُّذ من الشَّيْطان الَّذي يدفع إلى القُلُوب المريضة هذه الشُّكُوك والأسئلة الفاسدة،

---

(1) أخرجه البخاري (3276) ومسلم (134) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) التخمين، وعدم اليقين، والتقدير العشوائي.

وبالإيمان بوحدانيَّة الله تعالى، وأنَّه ليس له مثيلٌ، ولا نَدِيدٌ[1]، ولا مُشَاركٌ في شيءٍ مِن كَمَالِه.

وبما أرشدَ إليه ﷺ يندفع ما قاله المُلْحِدون، ويبطل ما ذهب إليه المَاديُّون المُتخرِّصون الَّذين يُنْكِرون ما لا يَعْلَمون، بل يَجحدون ما هم به مُسْتيقنون، وما زالَ الشَّيْطانُ يُزيِّن لهم الشُّكوك والتَّشْكيكات حتَّى غَمَرَهم الضَّلالُ، فَهُمْ في غَيِّهم يَعْمَهُون.

❁ الوجه الثالث والخمسون: [علم البشر مهما بلغ كقطرة من بحر علم الله]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين ما زَالَ بِهم إلحادُهم وغُرورهم وضَلَالهم حتَّى زَعموا أنَّ الإنسانَ سَيعلم كلَّ شيءٍ، ويَقْدر على كلِّ شيءٍ، ووصفوه بأوصافِ الرَّبِّ، وهذا أمرٌ لَمْ يصل إليه أحدٌ من بني آدم إلَّا هَؤُلَاءِ الزَّنادقة الَّذين لَمْ يَخْجلوا من مُكَابرة المَحْسُوسات، ومُبَاهتة المُشَاهدات، فإنَّ كلَّ أحدٍ يَعْلَمُ حقَّ العِلم أنَّ الإنسانَ ناقصٌ من كلِّ وجهٍ، وأنَّ ما به مِن عِلمٍ وقدرةٍ فبتعليم اللهِ وإقْدَاره، وأنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِعِلْم الإنسانِ وقُدْرَته حَدًّا لا يَتجاوزه، ولا يمكن أن يتجاوزه؛ لأنَّه في طَوْر البشر، فكما أنَّ الله هو الَّذي خَلَقه ولَمْ يكن شيئًا مذكورًا[2]، فهو الَّذي أخرجه من بطنِ أُمِّه لا يعلم شيئًا، وجَعَلَ له السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ وآلَاتِ

(1) النديد: المِثْل والنظير. وقال الله ﷻ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11].

(2) قال الله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان:1].

العِلم، وأسبابَ القدرة البشريَّة[1].

وأمَّا القدرةُ الرَّبَّانيَّةُ والعلمُ الإلهيُّ فمَنْ زَعَم أنَّ أحدًا مِن الخَلْق يشارك الله في شيءٍ منها، فهو مُبَرْسَمٌ مَجْنُونٌ[2]، وإنَّما اغترَّ ضعفاء العُقُول بِما شاهدوه من معلومات البشر ومَقْدوراتِهم ومخترعاتِهم حتَّى أَدْهَشَتهم، وجزموا أنَّهم أدركوها بحَوْلهم وقُوَّتِهم، وأنَّه ليس لقدرة الله فيها أثرٌ، ولا لتعليمه لهم فيها أثرٌ، فاللهُ خَلَقَكم وما تَعْمَلُون[3]، والله وحده الَّذي علَّم الإنسانَ ما لَمْ يعلم[4]، فما حَصَلَ من قُدرة البَشَر فَبِأَقْدَارِه، وما حَصَل لهم من علمٍ دينيٍّ ودُنيويٍّ فبتعليمه، ومع ذلك فعُلُومُهم وقُدَرُهم مهما بَلَغَت وتَرقَّتْ؛ فإنَّها تَضْمَحِلُّ إذا نُسِبت إلى عِلْم الله وقُدْرَتِه، ولهذا قال الرُّسُل والملائكة الَّذين هم أعلم الخَلْق: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:32].

وقال مُوسى للخضر حين رأى عُصفورًا نَقَر بمنقاره من البحر: «**ما نَقَصَ عِلْمِي وعِلْمُكَ وعِلْمُ سَائِر الخَلْقِ مِن عِلْمِ الله إلَّا كَمَا نَقَصَ البَحرُ من نَقْرَةِ هَذا العُصْفُور**»[5].

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:78].

(2) والبِرسَامُ: مُعَرَّب، أُطْلِقَ على اخْتِلال العقلِ، وعلى وَرَمِ الرَّأسِ، وعلى وَرَمِ الصَّدرِ. «فتح الباري» (1/ 338).

(3) قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:96].

(4) قال الله ﷻ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:5].

(5) أخرجه البخاري (122) في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام التي ذكرها الله في سورة الكهف، وفيه: «... **فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ...**».

=

وفي الصَّحيحِ مَرْفُوعًا أنَّ اللهَ يقولُ: «**يَا عِبَادِي، لَو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإِنْسَكم وجِنَّكم قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوني، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُم مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيطُ إِذَا غُمِسَ فِي البَحْرِ**»(1).

فتبًّا لمَنْ زَعَم مُشَاركة المخلوق الضَّعيف القَاصِر من جَمِيع الوجوه للرَّبِّ العظيم المُتفرِّد بالكمال من جميع الوجوه، وما أعظمَ جَهْلهم وضلالهم وعِنَادهم وجَرَاءتهم، واللهُ تعالى للطَّاغين بالمِرْصَاد.

❁ الوجه الرابع والخمسون: [ما الذي يحمل الملاحدة على مناهجهم الباطلة؟]:

أن يقالَ لهَؤُلَاءِ المُلْحِدين ما قاله اللهُ لإخوانِهم المُكذِّبين الَّذين هُمْ دونَهم بدرجاتٍ، مُبْطِلًا كلَّ احتمالٍ يُوجَّه للقَدْح في الرَّسول، وفيما جاء به؛ لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ...﴾ [الطور:29، 30]، إلى آخر الآيات.

=

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماءُ: لفظُ النَّقْص هنا لَيس على ظَاهِره، وإنَّما مَعناه: إنَّ عِلمي وعِلمك بالنسبة إلى عِلم الله تعالى كَنِسبة مَا نَقَرَهُ هذا العُصفور إلى مَاء البَحر. هذا على التَّقريب إلى الأفهام، وإلَّا فَنِسبة عِلمهما أقلُّ وأَحْقَرُ، وقد جَاء في رواية البُخاري: «**مَا عِلْمِي وعِلْمُك في جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إلَّا كَما أَخَذ هَذَا العُصْفُور بِمِنْقَارِه**»، أي: في جَنب مَعلوم الله، وقد يُطلق العِلم بِمَعنى المَعلوم، وهُو من إطلاق المَصدر لإرادة المَفعول، كقولهم: رَغْم ضَرْب السُّلْطَان. أي: مَضْروبه». «شرح النووي على مسلم» (15/ 141، 142).

(1) أخرجه مسلم (2577)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هل هذا الرَّسولُ مُحمَّدٌ ﷺ الَّذي جاء بالقرآن العظيم، وبالشَّرْع المُبِين شاعرٌ، أو كاهنٌ، أو مُتقوِّلٌ، أو ساحرٌ، أو ما أَشْبَه ذلك مِمَّا تَضَاربت به أقوالهم، أو هو أصدق الخَلْق وأبرُّهم وأنصحهم وأعلمهم، وأخشاهم لله، وأجمعهم لكلِّ فضيلةٍ، وأبعدهم من كلِّ رذيلةٍ، كما أجمع على ذلك كلُّ مَنْ عَرفَه من مُؤمنٍ وكافرٍ، وهذا هو الواقع.

أم الَّذي أوجب لهم الرَّدَّ والتَّكذيب أَحْلامُهم وعُقولُهم، فبئست الأحلام والعُقول الَّتي تَجْحد أكبر الأشياء وأوضحها، وتكذب بالحقِّ، وتنهج المناهج الباطلة، وتَرْضى لأنفسها بالشِّرْك والاستكبار، فعقولٌ وأحلامٌ هذه آثارُها مسلوبةُ النَّفْع، مكفولٌ لَها الشَّرر والضَّرر.

أم الَّذي حَمَلهم على هذا التَّكْذيب لا حدَّ له، ولا يَتورَّع صاحبه عن مُحرَّمٍ، ولا يمتنع عن جريمةٍ، والطُّغيان مردٌّ لأصحابه، مهلكٌ لهم لا محالة، أم يقولون: إنَّه ﷺ تَقوَّل هذا القرآن الَّذي لا يأتيه الباطل من بَيْن يديه ولا من خَلْفه تَنْزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور:34].

وهذا التَّحدِّي قائمٌ من حين نزله الرَّبُّ العظيم إلى أن تقوم السَّاعة، لَمْ يستطع ولن يستطيع كلُّ منكرٍ له، مُكذِّبٍ له أن يأتي بمثلِهِ من جميع الوُجُوه اللَّفظيَّة، والوُجُوه المعنويَّة.

أم الَّذي حَمَلهم على التَّكْذيب والاستكبار أنَّهم مخلوقون من غير شيءٍ، بل دَفَعتْهم الطَّبيعة، وأوجدتهم المصادفة، فهذا قول السخف والجنون والمكابرة المعلوم بطلانه بالضَّرورة من كلِّ عاقلٍ.

أم خَلَقوا السَّمَاوات والأرض وما فيها من العوالِم الَّتي لا يعلمها إلَّا الله،

فإنَّهم مع النَّاس يعترفون أنَّهم أضعفُ شيءٍ، وأعجز شيءٍ.

أم عندهم خزائن رحمة ربِّك، يُعْطون مَنْ شاؤوا، ويَمْنعون مَنْ شاؤوا، ويحكمون بِما شاؤوا، فهم مسيطرون على الملك والمملكة، كلُّ هذا يعترفون ببطلانه، فهم يعترفون أنَّهم فقراء مماليك لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، ولا دفعًا للمكاره، ولا جلبًا للمصالح.

أم الَّذي حَمَلهم على هذا البُهت والتَّكْذيب الكيدُ للرَّسول ولدينه، ونصر باطلهم حتَّى بالطُّرق الَّتي يعرف كلُّ عاقلٍ بطلانَها، وهذا هو الواقع، وإنَّ الَّذي ينتصر للباطل وقَدْ صَمَّم على ذلك، لو جاءته كلُّ آيةٍ لَمْ يؤمن، ولَمْ يهتدِ؛ لأنَّه وَطَّن نفسه على نصر الباطل، ومقاومة الحقِّ.

أم الَّذي حَمَلهم على ذلك أنَّ لهم إلَهًا غير الله له من أوصاف الرُّبُوبيَّة والإلهيَّة ما يستحقُّ به أن يُعْبدَ مع الله، ويردَّ الحقَّ لأجله، فسبحان الَّذي اعترفت المخلوقات بعظمته وسلطانه عمَّا يشركون![1].

فهو الإله الحقُّ المبين الَّذي له جميع أوصاف الكمال، وبيده التَّدبير للعالَم العلويِّ والسُّفليِّ، الَّذي لا يستحقُّ العبادة إلَّا هو، والَّذي لا يأتي بالحسنات

---

(1) والآيات بتمامها؛ قال الله ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطور:43].

والخيرات إلَّا هو، ولا يدفع السُّوء والسَّيِّئات إلَّا هو، الَّذي ليس له ندٌّ ولا كُفوٌ بوجهٍ من الوجوه، فذَكَر تعالى كلَّ احتمالٍ يُوجِّهه أعداءُ الرَّسول إلى رسالتِهِ، ورد ما جاء به، وأنَّ ذلك باطلٌ قَدْ أبطلته العقولُ السَّليمةُ والفِطَرُ المُسْتَقِيمةُ.

وهذه الاحتمالات الَّتي ذَكَرها اللهُ عن أولئك قَدْ قالها هَؤُلَاءِ المُلْحِدُون المَاديُّون من غير حياءٍ ولا خجلٍ، تَشابَهت قُلوبُهم في الكفر، فَتشَابَهت أقوالهم، فلا دين، ولا خُلُق، ولا عقل، ولا حياء من الخَلْق في هذه الجراءات والعظائم والمنكرات الَّتي قالوها، فلَمْ يبقَ إلَّا أن يُعذِّبَهم اللهُ؛ قال الله تعالى في آخر هذه الاحتمالات: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المعارج:42].

❁ الوجه الخامس والخمسون: [نسبة دقائق صنع الله إلى المصادفة العمياء من أكبر الحماقات]:

أن يقال لهم: مَنِ الَّذي خلق الأرض والسَّماوات والشَّمس والقمر والكواكب وجميع ما بثَّ فيهما من دابَّةٍ، والَّذي أنزل من السَّماء رزقًا، فأنبت به من كلِّ زوجٍ كريمٍ[1] متاعًا للعباد ولأنعامهم، ومَنِ الَّذي أحكمها غايةَ الإحكام، وأودع فيها من بدائعِ حكمتِهِ، ولطيفِ صنعتِهِ، وأنواع جودِهِ وكرمِهِ ورحمتِهِ، وجعلها أدلَّةً وبراهين على وَحْدانيَّتِهِ وقدرتِهِ وعظمتِهِ.

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان:10].

ومَنِ الَّذي خَلَق الإنسان في أَحْسَنِ تَقْوِيم[1]، وكَمَّل ظاهره وباطنه بالقُوَى المُتعدِّدة الَّتي يحتاج إليها، وعلَّمه كيف يَهتدي إلى مصالح دينِهِ ودنياه، فعَلَّمه البيانَ العلميَّ، والبيانَ اللَّفظيَّ، والبيانَ الرَّسميَّ، حتَّى تمَّ له من الخيرِ والصَّلاح والهدى ما لَمْ يتمَّ لغيره، وسَخَّر له ما في السَّماوات وما في الأرض يستدلَّ بآياتِها، ويستخرجَ منافعها، ويستدرَّ خيراتِها؟!

فإنْ قالوا: «هذا عملُ الطَّبيعة، وهذا فعلُ المصادفة»؛ فقَدْ برهنوا على حماقتهم وجهلهم الَّذي لَمْ يبلغه ضلالُ أحدٍ، فأيُّ عملٍ للطَّبيعة الَّتي توجب هذه الآثار العظيمة؟! وأيُّ أثرٍ جعلها تَعْمل هذه الأعمال؟ وأيُّ عقلٍ وفكرٍ هداها إلى هذه الأُمُور؟!

أمَّا أهلُ العِلم والبَصَائر والألباب، بل وجميع مَنْ له نوعٌ من العقل، فسيقولون: هذا تقدير العزيز العليم[2]، وهذا صُنْعُ الله الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ[3]، وأَحْسَنَ خَلْقَه[4]، بَدِيع السَّماوات والأرض[5]، وهو العزيزُ الحَكِيمُ.

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:4].
وقال جل وعلا: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:70].

(2) قال الله ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:96].

(3) قال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:88].

(4) قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:6، 7].

(5) قال جل وعلا: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ =

❁ الوجه السادس والخمسون: [نصر الله لرسله، وعقاب مخالفيهم دليل على صدقهم]:

قَدْ شاهد الخَلْقُ مِن جَزَاءِ الله للطَّائعين -وهم الرُّسُل وأتباعهم- وعقابه للعاصين المُكذِّبين له ولرسله آياتٍ بَيِّناتٍ، وبراهينَ قاطعاتٍ، شاهدوها رأي عينٍ، ومَنْ لَمْ يشاهدها فَقَدْ تناقلتها القرون قرنًا بعد قرنٍ، وتَوَاترت تواترًا لَمْ يتواتر له نظيرٌ من كلِّ وجهٍ.

فمَنِ الَّذي أرسل الطُّوفان العظيم الَّذي غشى الأرض والجبال، وأهلك اللهُ به المُكذِّبين لنوحٍ أجمعين، ونَجَّاه ومَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ المَشْحُون؟[1].

ومَنِ الَّذي أرسل على عادٍ الرِّيحَ العَقِيم، ما تَذَر من شيءٍ أتت عليه إلَّا جعلته كالرَّميم[2]، ونَجَّى اللهُ من هذا العَذَاب هُودًا ومَنْ مَعَهُ من المؤمنين؟

ومَنِ الَّذي أرسل الصَّيْحة والرَّجْفة على ثمود، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ونَجَّى اللهُ صالحًا ومَنْ تَبِعه من المؤمنين[3].

=

[البقرة:117].

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت:14، 15].

(2) قال الله ﷻ: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات:42].

(3) قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود:94، 95].

ومَنِ الَّذي جعل النَّار بَرْدًا وسَلَامًا على إبراهيم[1]، وقَلَبَ على قَوْمِ لُوطٍ ديارهم[2]، وأهلك قومَ شعيبٍ بعذابِ الظُّلَّة؟[3].

ومَنِ الَّذي فلق البحر حتَّى صار اثني عشر طريقًا، وعبره موسى وقومه ناجين، وأهلك اللهُ فرعون ومَنْ مَعَهُ أجمعين؟[4].

ومَنْ أَيَّد موسى بالعصا واليَدِ والجَرَادِ والقُمَّلِ والضَّفادعِ والدَّم[5]، وفَجَّر له الحجر اثنتي عشرة عينًا، قَدْ عَلِم كلُّ أُناسٍ مَشْربَهم[6]، وأَعْطَاه مِن الآياتِ ما فيه بلاءٌ مبينٌ[7]؟

ومَنِ الَّذي أعطى عيسى آياتٍ بَيِّناتٍ مُشَاهداتٍ، جَعَله يُبْرئ الأَكْمَه

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء:69، 70].

(2) قال الله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:81 - 83].

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:83].

(3) قال الله ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء:189].

(4) قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه: 77، 78].

(5) قال الله ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف:133].

(6) قال الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:60].

(7) قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان:33].

والأَبْرَص، ويُحْيي الموتى بإذن الله؟[1].

ومَنِ الَّذي أَيَّد مُحمَّدًا ﷺ بالآياتِ البيِّناتِ والنَّصرِ العَظِيم، وشقَّ له القَمَرَ[2]، وسَلَّم عليه الشَّجر والحَجَر[3]، وكَمْ أجابَ اللهُ دَعْوته في إنزال الغَيْثِ وإِمْسَاكِه[4]، وفي شفاء الأمراض المُتنوِّعة[5]، وأَنْبَعَ المَاءَ مِن بَيْن أَصَابِعه،

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران:49].

(2) أخرج البخاري (4864)، ومسلم (2800) من حديث ابن مسعود ﷺ قال: «انْشَقَّ القَمَرُ عَلى عَهْدِ رسولِ الله ﷺ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَة فَوق الجَبل، وفِرْقَة دُونه، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**».

(3) أخرج مسلم (2277) عن جَابر بن سَمُرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَان يُسَلِّم عَلَيَّ قَبْلَ أَن أُبْعَثَ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُه الآنَ**».

وأخرج الترمذي (3626) عن عَلِي بن أبي طالب ﷺ قال: «كُنْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ بِمَكَّةَ، فَخَرجنا في بعض نَوَاحِيها؛ فَمَا اسْتَقْبَلَه جَبَلٌ وَلا شَجَرٌ إلا وهو يَقُول: السَّلَامُ عَلَيك يا رَسولَ الله»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (2670).

(4) ومِن ذلك ما أخرجه البخاري (6093) عن أنس ﷺ أن رَجُلًا جَاء إلى النبي ﷺ يَوْم الجُمعة، وهو يَخطبُ بالمَدينة، فقال: قَحِطَ المَطَرُ، فَاسْتَسْقَ رَبُّك. فَنَظَر إلى السَّماء، ومَا نَرَى مِن سَحَابٍ، فَاستسقى، فَنَشَأَ السَّحَابُ بَعضه إلى بعضٍ، ثُمَّ مُطِروا حَتَّى سَالَت مَثَاعِبُ المَدينة، فَمَا زَالت إلى الجُمعة المُقْبلة ما تُقْلِع، ثُمَّ قَام ذلك الرَّجلُ أو غيرُه، والنَّبي ﷺ يَخْطُبُ، فقال: غَرِقْنَا، فادْعُ رَبَّك يَحْبِسُها عَنَّا، فَضَحِك ثم قال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا**» مرتين أو ثلاثًا، فَجَعَل السَّحابُ يَتَصَدَّع عَن المَدينة يمينًا وشمالًا، يُمْطِر ما حَوَالينا ولا يُمْطِر منها شيء، يُريهم اللهُ كَرَامَةَ نَبيه ﷺ، وإِجَابة دَعْوتِه». «مَثَاعب»: جَمع مَثعب، وهو مَجرى الماء والمِيزاب. «ما تُقْلع»: لا تُمْسك عَن المَطر، ولا يَنكشف السَّحاب، ولا تَنجلي السَّماء.

(5) ومن ذلك ما أخرجه البخاري (4039) عن البَراء بن عَازِب ﷺ أنه حَدَّثَ عن عبد الله بن عَتِيك أنَّه بَعد ما قَتَل أَبَا رَافِعٍ في بَيته، (وهو رَجُلٌ يَهُوديٌّ كَان يُؤذي النَّبي ﷺ)، وجَاءَ عبدُ الله يَنزلُ مِن =

فرَوَى الخَلْقَ الكَثيرَ[1]، وبَارَكَ في الطَّعَام الَّذي بَاشَره حتَّى أَشْبَعَ الخَلْقَ الكَثيرَ[2]، وعَصَمه من النَّاس وقَدْ تَكَالَبُوا عليه من كلِّ جانبٍ، وحَفِظَه وَحَفِظ ما جاء به؟[3].

=

دَرجةِ بَيتِ اليَهوديِّ فسقَطَ إِلَى الأرضِ؛ فَانْكَسَرت سَاقُهُ، قال: «... فانْتَهَيْتُ إلى النَّبي ﷺ فَحَدَّثْتُه، فقال: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**»، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحها؛ فَكَأَنَّها لَم أَشْتَكِها قَطُّ».

وإلى جانبِ علاج الأَمْرَاض الحِسِيَّة، كان للنبي ﷺ تأثيرٌ في عِلَاج الأَمْرَاضِ المَعنوية، ومِن ذَلك قِصَّة الشَّاب الذي أَتَى النَّبيَّ ﷺ يَستأذنه في الزِّنا؛ فعن أبي أُمَامة البَاهِلي رضي الله عنه قال: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبي ﷺ فقال: يَا رسول الله، ائْذَن لِي بالزِّنَا! فَأَقْبَلَ القومُ عليه، فَزَجَرُوه! وقالوا: مَهْ، مَهْ! فقال: «**ادْنُه**». فَدَنَا منه قَريبًا، قال: فَجَلَسَ، قال: «**أَتُحِبُّه لِأُمِّك؟**». قال: لَا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِدَاءَك! قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَه لِأُمَّهَاتهم**». قال: «**أَفَتُحِبُّه لِابْنَتِك؟**». قال: لا واللهِ يا رسول الله، جَعَلَني اللهُ فِدَاءك! قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونه لِبَنَاتِهم**». قال: «**أَفَتُحِبُّه لِأُخْتِك؟**». قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِدَاءك! قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونه لِأَخَوَاتِهم**». قال: «**أَفَتُحِبُّه لِعَمَّتِك؟**». قال: لا والله، جَعَلَني اللهُ فِدَاءك! قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَه لِعَمَّاتِهم**». قال: «**أَفَتِحِبُّه لِخَالَتِك؟**» قَال: لَا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِدَاءك! قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونه لِخَالَاتِهم**». قال: فَوَضَع يَده عليه. وقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِر ذَنْبَه، وطَهِّر قَلْبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه**»، فَلم يَكُن بعد ذَلك الفَتَى يَلتفت إِلَى شَيء». أخرجه أحمد في «مسنده» (5/ 256) (22265)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (370).

(1) أخرج البخاري (3572) عن أنس رضي الله عنه قال: «أُتِي النَّبيُّ ﷺ بإناءٍ، وهُو بالزَّوْرَاء، فَوَضَع يدَه في الإناءِ، فَجَعَل الماءُ يَنبع من بين أصابِعه، فَتَوَضَّأَ القَومُ. قال قتادة: قُلْتُ لأنسٍ: كَم كُنتم؟ قال: ثَلَاث مِئة، أو زُهاء ثلاث مِئة». و«الزوراء»: اسمُ مَوضعٍ في سُوق المدينة تلك الأيام.

(2) ومن ذلك ما حدث في غزوة تبوك حين أَخَذَ الجُوع من الصَّحَابة كُلَّ مَأخذ؛ فَاسْتَأْذَنُوا النَّبي ﷺ في نَحْرِ رَوَاحِلهم، فطلب منهم أن يَأتوه بفضل أَزْوَادهم- أي: ما بَقي من أَطْعِمَتِهم، فَدَعَا فيه بالبركة، ثُمَّ قال: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكم**»، فأخذوا في أَوْعِيَتِهم، حَتَّى مَا تَرَكوا في العَسْكر وِعَاءً إلا مَلؤوه، فَأَكَلُوا حتى شَبِعُوا، وحَمَلُوا ما بَقِي»، فقال رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنِّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى اللهَ بِهما عَبْدٌ غَيْر شَاكٍّ، فَيُحجب عَن الجَنَّةِ**». أخرجه البخاري (2484)، ومسلم (27).

(3) قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ =

فبعض هذه الآيات تُوجِب لكلِّ مُنصفٍ أن يعترف بوحدانيَّة الله وكماله، وصِحَّة ما جاءت به الرُّسُل، وبطلان ما ذهب إليه أعداء الرُّسُل في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وذلك أنَّ الباطل يُعْرف تارةً بتصويرِهِ وتقريرِهِ، وببيانِ أدلَّته الواهية وشُبَهه السَّاقطة، وتارةً يُعْرف ببيانِ الحقِّ، ووضوحِ براهينِهِ السَّمعيَّة والعقليَّة (المُشَاهَدَات، والمَحْسُوسَات، والمُتَوَاتِرَات)، فإذا عُلِم الحقُّ، عُلِم أنَّ ما سواه باطلٌ، فماذا بعد الحقِّ إلَّا الضَّلالُ؟! فَأَنَّى يُصْرَف المُلْحِدُون؟! وإلى أيِّ شيءٍ يَذهبون؟! والحمدُ لله على عَافيته من هذا البلاء العظيم، المُفْضِي إلى العذاب الأليم.

❁ الوجه السابع والخمسون: [الرد على شبهة الملحدين: لو كان الدين حقا لما كان أتباعه بهذا الضعف والهوان!]:

إنَّ المَلَاحِدَة يَتشبَّثون لتأييد باطلهم بشُبهٍ باطلةٍ تروج على مَنْ لا بصيرة له، ويُروِّجها المأجورون من الزَّنادقة المُنْتسبين للإسلام، يقولون: انظروا إلى حال

=

﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

وقد عصم اللهُ نَبيَّه في مواطنَ كثيرةٍ؛ كما وقع في الهجرة، وغزوة أُحُد، وغيرهما.

ومن ذلك أيضًا عندما اجتمع المنافقون في العَقَبَة للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ فعن أبي الطفيل، قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أُنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حَرَّة فمشى، فقال: «**إن الماء قليل، فلا يسبقني إليه أحد**»، فوجد قومًا قد سبقوه، فلعنهم يومئذ». أخرجه مسلم (2779).

المسلمين وما هم عليه من الضَّعْف، وأنَّهم مُتأخِّرون في أمور الحياة، والَّذي أَخَّرهم دينُهم، فيُروِّجون هذا من وجوهٍ مُتنوِّعةٍ، وهذا مِمَّا يعلم أنَّ المستدلَّ به مبطلٌ.

وذلك أنَّ الواجب أن تنظر إلى الدِّين الإسلاميِّ في نفسه، وما هو عليه من الإحكام والحسن العظيم، وما فيه من الهدايات إلى كلِّ خيرٍ، والذَّوْد عن كلِّ شرٍّ وضررٍ.

وتنظر أيضًا إلى حالة القائمين به، المُنفِّذين لتعاليمه وأحكامه في أنفسهم وفي العباد، كما كان عليه المسلمون في الصَّدْر الأوَّل، فإنَّك ترى فيه ما يُبْهج النَّاظرين، وتقوم به الحُجَّة على المعاندين.

وأمَّا النَّظر إلى المسلمين التَّاركين لهدايتِهِ وإرشادِهِ وتعاليمِهِ العالية، المنحرفين عنه من وجوهٍ كثيرةٍ؛ فهذا ظلمٌ، ووضعٌ للشَّيء في غير موضعِهِ، فكما لا يقدح ولا يضرُّ العُلُوم النَّافعة إذا انتسب إليها وادَّعاها مَنْ لَمْ يَتَّصف بِها، ولا يحتجُّ بحالهم على ذمِّ العلم، فهذا أَبْلغ وأَوْلى؛ ولهذا كانت الوسيلةُ الوحيدة إلى عَوْد المسلمين إلى عِزِّهم ومَجْدهم وكمالهم، عَوْدهم إلى دينهم الصَّحيح، وتَمسُّكهم بإرشاداتِهِ الدِّينيَّة والدُّنيويَّة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥﴾ [الممتحنة:5].

فحالُ المسلمين اليوم في تَفرُّقهم وتَشتُّتهم، وتَرْكهم جمهور مُقوِّمات دينهم، حتَّى انحلُّوا وضعفوا، صارَ فتنةً للكُفَّار والمنافقين، وحجابًا حائلًا، وشُبْهةً لمَنْ يريد التَّلْبيس، فلا حَوْل ولا قُوَّة إلَّا بالله العظيم.

﴿ الوجه الثامن والخمسون: [انحراف الخلق وانحلال أخلاقهم بسبب الإلحاد]:

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام:116].

وهذا أمرٌ مُشَاهدٌ مَحسوسٌ، أكثر أهل الأرض ضُلَّالٌ منحرفون، دعاةٌ إلى الضَّلال بأنواع الدِّعايات الَّتي نِهايتها أن تصل إلى هذا الَّذي ذَكَره الله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام:116].

فجميعُ ما يَحتجُّون به على باطلهم ظنونٌ خاطئةٌ، وتَخرُّصاتٌ ونظريَّاتٌ فاسدةٌ، واعتبر ذلك بنظرياتِ عِلَل الوجود الَّتي لا يزالون يُحدِّثون عنها بأحاديثَ متناقضةٍ، ولا يَزَالُون يُحْدثون نَظَرِيَّاتٍ وتَجْرِبَاتٍ في عِلَّة العلل فيُبطلونَها؛ لأنَّه محالٌ أن يستقرَّ لهم قولٌ صحيحٌ في ذلك حتَّى يُؤمنوا بخالقِ الوجود، ومُوجِد العلل والمعلولات، والقادر على كلِّ شيءٍ، الَّذي جميع الذَّوات والعناصر والأسباب والمسببات كلُّها منقادةٌ لمشيئتِهِ وحكمتِهِ، ليس لَها من الأمر شيءٌ، وإنَّما هو حكيمٌ في وَضْعها مواضعها، وتَنْزيلها منازلها.

وكذلك اعتبر هذا بخَرْصِهم الباطل، وقولهم بشُمُول التَّرقِّي لكلِّ موجدٍ عمومًا، وللإنسان خصوصًا في أخلاقِهِ ودينِهِ وآدابِهِ وأعمالِهِ وصناعتِهِ، حتَّى أخذها المُغترُّون عنهم قضيَّةً مُسلَّمةً، وهي لا تحتاج إلى نظرٍ كثيرٍ، بل يعلم بالبداهة والضَّرورة أنَّ التَّرقِّي إنَّما هو في الأوقات القريبة في عُلُوم الصِّناعات والمخترعات، وبِهذا اغترُّوا وغَرُّوا غيرهم.

أمَّا التَّرقِّي في الأفكار الصَّحيحة، والعُلُوم الصَّادقة النَّافعة، والأخلاق الفاضلة، فإنَّها هبطت هُبوطًا لا يمكن التَّعْبير عنه، وإذا أردت أن تعرف ذلك يقينًا، فخُذْ نموذجًا من الأمثلة، وقِسْ أفكارَهم وعُلومَهم وأَخْلاقَهم بالأفكار الرَّاقية، والعُلُوم الصَّادقة، والأخلاق الفاضلة.

مثال ذلك:

أنَّ أفكارَ المَاديِّين حَصَرُوها في المادَّة، ولَمْ يَلْتفتوا بالكُليَّة إلى غيرها، فأدركوا منها ما وصلت إليه أفكارهم، فهذه أفكارهم في أُمُورٍ ضَيِّقةٍ أوجبت لهم جَحْد ما سواها، وضَيَّقت عُلُومهم، وأَكْسبتهم الشَّقاء العاجل والآجل.

وأمَّا الأفكار الدِّينيَّة، فإنَّ أهلَ الدِّين الصَّحيح استعملوا أفكارهم فيما هُيِّئتْ له، وخُلِقتْ له، علموا أنَّ اللهَ خَلَقهم لمعرفته وعبادته وحده لا شريك له، وأنَّهم إذا قاموا بذلك، أتمَّ اللهُ عليهم نعمتَه، وأَسْعدهم سعادةً أبديَّةً وفلاحًا دائمًا، ومع ذلك فقَدْ سَخَّر لهم ما في السَّماوات والأرض[1]، وأدرَّ عليهم الأرزاق؛ ليَتوصَّلوا بِها إلى المقصود مِمَّا خُلِقوا له، فيصلح دينهم ودنياهم؛ وليحيوا في هذه الدَّار حياةً طيِّبةً.

فبالله عليك، هل تنسب تلك الأفكار الدَّنيَّة إلى هذه الأفكار الجليلة العليَّة؟ وقَدْ تَرتَّبتْ عُلُوم الفريقين على هذه الأفكار المُتَبَاينة، فالمَادِيُّون قَصَروها على عُلُوم المادَّة، فتمَّ لهم منها ما تمَّ، والمؤمنون عرفوا الله بأسمائِهِ وصفاتِهِ وأحكامِهِ ودينِهِ؛ ظاهرِهِ وباطنِهِ، فعُلُومهم الجليلة لا يمكن

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: 13].

أن يُقَاس بِها أو يُقاربَها شيءٌ من العُلُوم الأخر، ومع ذلك فقَدْ شاركوا علماء المادَّة في علمهم الَّذي يحتاجون إليه في إصلاحِ دِينهم ودُنْيَاهم، فإنَّ دينَهم قَدْ جاء بالإصلاحات المُتنوِّعة كما تَقدَّم.

وأمَّا الأخلاقُ فأهلُ الإلحادِ والمادَّة انْحلَّتْ منهم الأخلاق انحلالًا ذائبًا، حتَّى صاروا كالبهائم، بل أضلَّ منها وأخسَّ، مَرجت أخلاقهم، وذهبت عُهُودهم، واستباحت كلَّ مُحرَّم، وانطلقوا في شهواتِ الغيِّ، لا يُثْنيهم عنها دينٌ، ولا خُلقٌ، ولا حياءٌ من الله، ولا من خَلْقه، كما هو معروفٌ من أحوالهم، فذهب دينُهم، ولَمْ تَسْتقِمْ دنياهم فيعيشوا فيها عيشةً طيِّبةً هادئةً، خسروا الدُّنيا والآخرة، وأمَّا المؤمنون فإنَّ أخلاقَهم كلُّ خُلقٍ مُستحسنٍ عقلًا وشرعًا وعُرْفًا، وهي الأخلاق الَّتي تجعل صاحبها في المراتب العالية، والأوصاف الجميلة الحميدة، كما هو معروفٌ منهم مشاهدٌ.

❁ الوجه التاسع والخمسون: [سعادة المجتمع لا تكون إلا بسنن الإسلام وأنظمته]:

إنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة قَدْ حَكَمتْ على الخَلْق أحكامًا جميلةً، لا يمكن إصلاح الأُمُور إلَّا بِها؛ لأنَّها تُوجِّه الظَّواهر والبواطن إلى الخير، وتَذُودهم عن الشُّرور.

أمَّا باطنها، فلأنَّ المُتَّصفين بِها، الملتزمين للدِّين على وجهه، قَدْ تَوجَّهتْ قُلوبُهم إلى القيام بالدِّين، واعتبروه أفرض الفروض، وأوجب الواجبات، راجين بذلك فضل الله وثوابه، ومُحْتَسِبين خيره، ومَنْ خرج عن هذا منهم فقَدْ جَعَلتْ له الشَّريعةُ من الحواجز والرَّوادع والحدود ما يُعِينه على التزامه في

عقائدِهِ وأخلاقِهِ وآدابِهِ وحقوقِهِ الجميلة المُعْترف بحسنها عند العُقَلاء، وذلك السَّبيل الوحيد إلى إصلاح المجتمع، واستقامة الأحوال، وسُلُوك الصِّراط المُسْتَقِيم.

وأمَّا القوانينُ المُلْحِدَة، فإنَّ غايتها إذا قَوِيت: أَنْ تسيطر على بعض الظَّواهر، وأمَّا الأخلاق، والبَوَاطِن، والإيمان والأَمْن على الأرواح، وعلى الأموال، والحقوق، فهيهات أن تقوم بِها قوانين إلحاديَّةٌ تَهدف وتقصد أن يَكُون البشر كالبهائم إِبَاحيِّين فَوْضويِّين في أفكارهم وإرادتِهم ومُرَاداتِهم، وتُفْضي إلى الشُّرور، وتَنْتهي إلى الحُرُوب، وهذا أمرٌ لا يرتاب فيه عاقلٌ.

ومِمَّا يُؤيِّد هذا: أنَّ الأحكامَ الدِّينيَّة الَّتي أرشد إليها الشَّارع باقيةٌ ببقاء البشر، صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، بل لا تصلح الأُمُور إلَّا بِها.

وأمَّا قوانين البشر وأنظمة السِّياسيِّين الَّتي لَمْ تُبْنَ على الدِّين؛ فإنَّها مُوقَّتةٌ بحسب ما يرون من مصالحهم ومَضارِّهم في الوقت الَّذي هم فيه، ثُمَّ تَتغيَّر وتَتبدَّل، وربَّما غَيَّرها واضعوها؛ لأنَّها من صَنِيع البَشَر، وصُنْعهم كلُّه ناقصٌ.

والشَّريعة الإسلاميَّة من صُنْع العزيز الحكيم العليم الَّذي أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، وعَلِم مصالحَ العباد في كلِّ الأوقات والأحوال، فشَرَعها صالحةً لهم، موافقةً لمصالحهم، دافعةً لمَضارِّهم، وهذا من أعظم البراهين على إبطالِ جميعِ الأُصُولِ والأنظمةِ والأساساتِ المناقضةِ للدِّين، والله أعلم.

وَاعْلَمْ أنَّه لا يوجد قانونٌ صحيحٌ أَخَذتْ به الأممُ إلَّا وهو في الدِّين على أكملِ ما يَكُون، وأصحِّ ما يَكُون، وأَسْلَم ما يَكُون من النَّقْص، فليأتِ المُرْتاب بمثالٍ واحدٍ خارجٍ عن هذا الأصل إِنْ كان صادقًا!

﴿ الوجه الستون: [العناد والكبر يؤديان للكفر]:

قال الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:101].

فذكر ﷻ أَمْرَين عَظِيمين يمتنع ويستحيل وُجُود الكفر مع معرفتهما إلَّا من معانِدٍ ومكابِرٍ، فلا عبرةَ به، ولا حيلةَ في هدايته:

أحدهما: آياتُ الله الَّتي تُتْلى على العباد، وفيها الآيات البَيِّنات، والحُجَج القاطعات المُتنوِّعة من كلِّ وجهٍ، فمَنْ عَرَف القرآنَ وتَأمَّله، ورأى اتِّفاقه وعدم اختلافِهِ وأحكامِهِ وبلاغتِهِ، وصِدْق ما أخبر به من الغيب والشَّهادة، وحسن ما شَرَعه وحَكَم به، عرف أنَّه من عند الله، وأنَّ البشر -بل الإنس والجن والخلائق- لو اجتمعوا على أن يَأتوا بِمِثْلِه لا يَأتون بمثلِه، ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا[1].

[الثاني:][2] وكذلك مَنْ عَرَف الرَّسول مُحمَّدًا ﷺ، وما هو عليه من الكمال المُتنوِّع، الكامل في رُوحِهِ وخُلقِهِ، الكامل في عقلِهِ ومعرفتِهِ، والكامل في إنْسانيَّته بجميع مظاهرها، الَّذي اجتمع به الكمالُ الإنسانيُّ من كلِّ وجهٍ، مَنْ عرفه على هذا الوجه، عرف وتَيقَّن أنَّه رسولُ الله حقًّا، ونبيُّه صدقًا، وامتنع مع ذلك أن يُنكر رسالتَه، بل تَحقَّق صِدْقها وبطلان ما ناقضها، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ

---

(1) قال جلا وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:88].

(2) أضفتُ ما بين المعقوفين لاستكمال الترتيب.

﴿ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة:28]، ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:9]. الآيات.

فتَعجَّب تعالى مِمَّنْ يكفر به وهو يشاهد -وكلُّ أحدٍ له عقلٌ يشاهد- أنَّه الخالق للموجودات عمومًا، وللآدميِّ خصوصًا، المُوجِد له بعد العدم، المُتصرِّف فيه بالأحكام القَدريَّة، والأحكام الشَّرعيَّة، وأحكام الجزاء، فكيف يَسْتسيغ أحدٌ بعد هذا البرهان أن يعدل إلى الإلحاد والكفر والإنكار، أفي الله شكٌّ فاطر السَّماوات والأرض، وهو الَّذي يُطعِم ولا يُطعَم، وهو الغنيُّ بذاتِهِ، والكونُ كلُّه فقيرٌ إليه بذاتِهِ من كلِّ وجهٍ.

❁ الوجه الحادي والستون: [صحة العقل في أن يدرك الحق، ويعمل به]:

إنَّ هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة المَاديِّين فَسَدَت عُقولُهم -مداركها وأعمالها وسلوكها- وذلك أنَّ صِحَّة العقل أن يدرك الحقَّ، وأن يعمل به، ويسلك الطَّريق النَّافع، وهَؤُلَاءِ أنكروا وجَحَدوا الحقَّ، فإنَّ الله هو الحقُّ، وقولهُ حقٌّ، ودينَه حقٌّ، ووَعْده ووَعِيده حقٌّ، قامت على ذلك البراهينُ القاطعةُ الكثيرةُ الَّتي هي أقوى البرَاهين وأصدقها، وشهد بذلك لنفسه، وشهد به خيارُ الخَلْق من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وشَهِد به جميعُ العقلاء، وعليه فُطِرت الخليقة، فمَنْ أنكر هذا فهو إمَّا معاندٌ مكابرٌ، قَدْ فسد سلوكُهُ وعملُهُ وقَصْده الَّتي هي ثمرة العقل، وإمَّا مشتبهٌ عليه الأمر، فهذا أعظمُ النَّاس على الإطلاق جهلًا وضلالًا؛ لأنَّه ضلَّ بأوضح الأشياء، واشْتَبه عليه اللَّيل والنَّهار والضِّياء والظُّلمة، وكلُّ مَنْ فَسَد إدراكُهُ أو سلوكُهُ أو كلاهما، فإنَّ أقوالَه لاغيةٌ باتِّفاق العقلاء.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلُّ مَنْ يَقْبل قولَ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين

فهو أحد رجلين: إمَّا جاهلٌ بحقيقة أمرهم، وإمَّا ظالمٌ يُريد علوًّا في الأرض وفسادًا، أو جامعٌ بَيْن الوصفين، وهذه حالُ أَتْبَاعِ فِرْعَون الَّذين قال الله فيهم: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف:54]، وحالُ القَرَامِطَة مع رؤسائهم، وحالُ الكُفَّارِ والمُنَافِقين في أئمَّتهم الَّذين يَدْعون إلى النَّار، ويوم القيامة لا يُنْصَرُون[1]».اهـ[2].

❁ الوجه الثاني والستون: [كل أنواع الباطل قد قال بها من سبق]:

إنَّ قولَ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين المَاديِّين إذا تُصِوِّر على حقيقتِهِ- جزم العاقلُ ببطلانه، وقال: كيف اشتبه هذا على أحدٍ؟ ويَتعجَّب من اعتقادهم إيَّاه.

قال شيخ الإسلام: «ولا يَنْبغي للإنسان أن يعجب، فما من شيءٍ يتخيَّل من أنواع الباطل إلَّا وقَدْ ذهب إليه فريقٌ من النَّاس؛ ولهذا وَصَف اللهُ أهلَ الباطل بأنَّهم ﴿ أَمْوَٰتٌ ﴾ [النحل:21][3]، وأنَّهم ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ [البقرة:171][4]، ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المنافقون:3][5]، و﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة:171]، وأنَّهم ﴿ لَفِى

---

(1) قال الله ﷻ عن فرعون وجنوده ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [القصص:41].

(2) انظر «مجموع الفتاوى» (2/ 138، 139).

(3) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل:21].

(4) قال جل وعلا عن المُنَافقين: ﴿ صُمٌۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة:18].
وقال ﷻ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة:171].

(5) قال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المنافقون:3].

قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات:8، 9]، وأنَّهم في ﴿رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة:45][1]، و﴿يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة:15][2]». انتهى كلامه[3].

فصورةُ قول هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة أنَّ جميع الموجودات وُجِدتْ بغير موجدٍ، وُجِدتْ مصادفةً من طبيعةٍ عمياء، لا عِلْمَ لَها، ولا قَصْدَ، ولا شيءَ من الشُّعُورِ العلميِّ، ولا الشُّعورِ الإراديِّ، فلو صُوِّرت المُحَالات والمُمتنعات بأوضحَ من هذا التَّصْوير وأَشَدِّه مُكابرةً للعقول- لَمْ يهتدِ المُصَوِّر إلى تَعبيرٍ عن شيءٍ مُمتنعٍ أبلغ من هذا المَنطق الجُنونيِّ، وهذا مِنْ جزاء مَنْ جَاءه الحقُّ فَرَدَّه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:110].

❁ الوجه الثالث والستون: [عقيدة الكمال لله مقررة في الفطر والعقول]:

إنَّه قَدْ تَقرَّر في الفِطَرِ والعُقُولِ أنَّ اللهَ له الكمالُ المطلقُ، والحمدُ المُتنوِّعُ، وأنَّه أكبر وأعظم وأعلى وأعلم من جميع الموجودات، ولا تُنْسب إليه بوجهٍ من الوجوه، وهذا مُتقرِّرٌ مستقرٌّ في قُلوب جميع أهل الأديان وغيرهم من جَميع العُقَلاء المعترفين بوجود الله، وأنَّه ليس كمثله شيءٌ في جميع أوصافِهِ

---

(1) قال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة:45].

(2) قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة:15].

(3) انظر «مجموع الفتاوى» (2/ 145).

وأفعالِهِ[1]، ولَمْ يُنْكر هذا إلَّا فِرقةٌ وشرذمةٌ من زنادقة الفلاسفة الدَّهريِّين المارقين من الدِّيانات والمَعْقُولات.

فجميعُ أجناس البشر مُعْتَرفون لله تعالى بِهذه العظمة، وإن اخْتلفَتْ طرائقهم، وتَباينَتْ ديانتهم، وتنازعوا في الأُصُول أو في الفروع، فهذا الأصل لا ينكره منهم منكرٌ، ولا يَجْحده إلَّا المعاندون الَّذين خرجوا من الشَّرْع والعقل والفِطرة، وإنْ كان لهم عقولٌ وأفئدةٌ أدركوا بِها ما أدركوا من علوم المادَّة، حيث وَجَّهوا جميع قُوَاهم ومجهوداتِهم إليها، ولكنَّهم لَمْ تُغْنِ عنهم هذه العُقول شيئًا في أنفع الأشياء، بل كانت حُجَّةً عليهم، فما علموه من عُلوم الكون حُجَّةٌ عليهم فيما أنكروه مِمَّا هو مقصودٌ أَصْليٌّ، وعُلوم الكون كلُّها وسيلةٌ إليه، فانقطعوا في الوسائل عن المقاصد، وبالدَّليل عن المدلول، وبالكون عن المُكوِّن، وبالصَّنْعة عن صَانِعها، وبَقَوْا في غَيِّهم وضلالهم وطُغْيانِهم يَعْمهون.

واللهُ تعالى له المَثَلُ الأَعْلَى[2]، وهو مُعطي الموجودات جميعَ ما فيها من القوى والإدراكات والصِّفات، وهو أحقُّ بالكمال من كلِّ موجودٍ، فالَّذي عَلَّم الإنسانَ ما لَمْ يعلم من العُلُوم الواسعة المُتنوِّعة، وأَقْدَره على كثيرٍ من موادِّ الطَّبيعة وعناصرها، وجعل له السَّمْع والأبصار والأفئدة، وهذه الأُمُور

---

(1) قال ﷻ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11].

(2) قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾ [النحل:60].

وقال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم:27].

وغيرها لَمْ تَحْصل للبشر إلَّا بإيجادِهِ وإمدادِهِ وتعليمِهِ وتسخيرِهِ، أفبهذه النِّعم الجليلة والفوائد السَّابغة يَكْفر به الكافرون، ويجحده الجاحدون: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية:6].

﴿ الوجه الرابع والستون: [كل دليل يبطل به الشرك هو برهان على بطلان الإلحاد]:

إنَّ كلَّ برهانٍ ودليلٍ أبطلَ اللهُ به الشِّرك، وقَرَّر به التَّوْحيد، فهو برهانٌ على بطلان الإلحاد والجُحُود؛ لأنَّ المشركين يعترفون بالله، ويعلمون أنَّه الخالق الرَّازق المُدبِّر، ولكنَّهم يُشْرِكُون في عِبَادتِهم، فيَعبدون الله، ويَعبدون غيرَه، **فَأَبْطَلَ اللهُ شِرْكهم بأُمُورٍ كثيرةٍ:**

منها: أنَّ اعترافَهم بتوحيد الرُّبُوبيَّة يُوجب لَهُم أن يقوموا بتوحيد الإلهيَّة والعبادة.

ومنها: أنَّ الله تعالى كما هو المنفرد بالنِّعم وجَلْب الخيرات، ودَفْع السُّوء والسَّيِّئات، فهو الَّذي يجب أن يُعْبد وحده لا شريكَ له، ويُحْمد ويُشْكر، ويُثْنَى عليه.

ومنها: أنَّ شواهدَ الفَقْر والحَاجة على جميع المخلوقات ظاهرةٌ من كلِّ وجهٍ، فهم الفُقراءُ إلى اللهِ، واللهُ هُو الغَنِيُّ الحَمِيدُ[1]، فيجب أن يُنْزلوا فَقْرَهم وفاقتهم وضرورتَهم بمَنْ لا يأتي بالإيجاد والإمداد إلَّا هو، الغنيُّ بذاتِهِ عن جميعِ مخلوقاتِهِ.

---

(1) قال جل جلاله: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:15].

ومنها: أنَّ مَنْ سواه لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نُشُورًا[1]، لا يَدْفعون المَكَارِه، ولا يَجْلبون المَحَابَّ، ومَنْ كان على هذا الوصفِ فعبادتُهُ باطلةٌ، فإذا بطل الشِّرك بالله، وتَقرَّر وُجُوب الإخلاص لله؛ ثبت وحدانيَّة الله، وتَفرُّده بكلِّ كمالٍ، واضمحلَّ قَوْلُ الجَاحِدين، كما اضمحلَّ قَوْلُ المُشْركين.

❁ الوجه الخامس والستون: [البراهين على رسالة الرسل مبطلة لأقوال الملحدين]:

إنَّ البراهينَ الدَّالَّةَ على رسالة مُحمَّدٍ ﷺ ورسالة سائر الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- من أكبر البراهين على إبطالِ قَولِ المُلْحِدين، وآيات الرُّسُل عُمومًا، ومُحَمَّدٍ خُصوصًا لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، مُتنوِّعةٌ من كلِّ وجهٍ، تُوجب العلمَ الضَّروريَّ بصدقهم وصِحَّة ما جاؤوا به، وهَؤُلَاءِ المُلْحِدُون أكبرُ أعداءٍ للرُّسُل في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلا يَجْتَمِعُ الإيمانُ بالرُّسُل مع اعتناق مَذهب المَاديِّين المُنَافي للرِّسالة وللعُقُول والفِطَر، والله أعلم.

❁ الوجه السادس والستون: [البر اهين على البعث هادمة لأقوال الملحدين]:

البَرَاهِينُ الدَّالَّةُ على البَعْث كلُّها تُبْطِلُ أُصُول المُلْحِدين، وقَدِ اسْتدلَّ تعالى

---

(1) قال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: 3].

على البعث بقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:57].

وبأنَّه كما بدأ الخَلْقُ مِن العَدَم، فإنَّه سيُعيدهم للجزاء، وبإحياء اللهِ الأرض بعد موتِها، واستدلَّ بكمال قدرتِهِ، واستدلَّ بحكمته، وأنَّه لا يليقُ به أن يَترك الخَلْقَ سُدًى[1]، لا يُؤمَرون، ولا يُنْهَون، ولا يُثَابون، ولا يُعَاقَبون، وبغير ذلك من البراهين.

وهذه أمثلةٌ ونَمَاذجُ لهذه الأُصُول الثَّلاثة: التَّوحيد، والرِّسالة، والبعث، وكلُّ واحدٍ من هذه الأصول لو بُسِطَت بَرَاهِينُه لَبَلَغت شيئًا كثيرًا، فكلُّ واحدٍ منها قَدْ وصل إلى عِلْمِ اليَقِين، وعَيْنِ اليَقِين، وحَقِّ اليَقِين[2]، وهي تَهْدمُ أَسَاسَ التَّعْطيل والإلحاد، وتُوجِب على العباد الاعتراف بِما خُلِقوا له من الإيمان بالله وكُتُبه ورُسُله، وعبادته وحده لا شريكَ له، ومن المعلوم أنَّ المَادِيِّين المُلْحِدين يُبَاهِتُون، وينكرون ذلك كلَّه.

---

(1) قال جل في علاه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:115]، وقال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:36].

(2) ورد ذكر هذه الألفاظ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر:5- 7]، وفي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة:95].

وقال الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَرْقُ بين عِلْم اليَقين، وعَين اليَقِين، وحَقِّ اليَقين قَد مَثَّلْتُ المراتبَ الثَّلاثة: بِمَنْ أَخْبَرَكَ أنَّ عِنده عَسَلًا، وأنت لا تشكُّ في صِدقه، ثم أَرَاك إيَّاه؛ فَازْدَدت يَقينًا، ثُمَّ ذُقْتَ مِنه؛ فالأوَّل: عِلم اليقين، والثَّاني: عَين اليَقِين، والثَّالث: حَق اليَقِين.

فَعِلْمنا الآن بالجَنَّة والنَّار عِلم يَقِين؛ فَإِذَا أُزْلِفَت الجَنَّة في المَوقف (مَوقف الحَشْر) للمُتَّقين، وشَاهَدَها الخَلَائقُ، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء:91]، وعَايَنَها الخَلَائق- فَذَلك عَيْنُ اليَقِين، فَإذا أُدْخِل أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأُدْخِل أهلُ النَّارِ النَّارَ- فَذَلك حِينئذ حَقُّ اليَقِين».

﴿ الوجه السابع والستون: [كمال الرسول محمد ﷺ دليل على صدقه]:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:164].

هذه الآيةُ دلَّتْ على كمالِ علمِ الرَّسُول مُحمَّدٍ ﷺ، وكمالِ تعليمِهِ للخَلْق، وكمالِ تنفيذِهِ للهدى والصَّلاح الَّذي جاء به، فهل في إمكانِ أحدٍ من البشر (الأوَّلين والآخرين) وُجُود هذه العُلُوم العالية النَّافعة الواسعة في شخصٍ واحدٍ، وحُصُول التَّعليم منه لأُناسٍ كانوا قبل ذلك في غاية الجهل والضَّلال المبين حتَّى انتقلوا من هذا الجهل والضَّلال إلى العلم الواسع والهُدَى المُتنوِّع.

ثُمَّ مع هذا العلم والتَّعْليم الممتنع وُجُوده، أو وُجُود ما يقاربه في شخصٍ واحدٍ، نفذ ﷺ في الخَلْق هذه التَّعاليم والإصلاحات الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، فاستقامت به الأُمُور، وصلحت الأحوال.

إنَّ في ذلك لعبرةً للمعتبرين، وآياتٍ لأُولِي الألباب، حيث بُعِث هذا النَّبِيُّ الأُميُّ الَّذي لا يقرأ كتابًا، ولا يخطُّ بيمينِهِ، ولا جَالسَ أحدًا من العلماء السَّابقين فتَعلَّم منهم، فجاء بعُلُوم الأوَّلين والآخرين، وبما فيه صلاح الدُّنيا والدِّين، فزالت به الجهالات والضَّلالات، وتَقشَّعتْ عن القُلُوب به الظُّلُمات، وحصل كمال الرُّشد والهدى، وزال عن أُمَّته أسباب الهلاك والرَّدَى.

شهد بِهذا الأولياءُ والأعداءُ، واتَّفق الخَلْق على أنَّه لَم يوجد أحدٌ يقاربه من العظماء، وكيف يقاربه أحدٌ أو يُدَانيه وكلُّ خصلةٍ من خصال الكمال له منها أعلاها وأرفعها، وبه كَمُلت العُقول والبصائر، ولا يقدح في هذا إلَّا كلُّ مباهتٍ مكابرٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾ [الشورى:16].

﴿ الوجه الثامن والستون: [حرص المحتلين على إفساد التعليم]:

لمَّا عَلِم المُسْتَعْمِرون[1] المُلْحِدُون أنَّ الإسلامَ الحقيقيَّ والدِّين الإسلاميَّ أقوى حصنٍ، وأعظم سلاحٍ لمقاومتهم، وقَدْ عرفوا ذلك من قديم الزَّمان، وحَمَلوا حملاتٍ مُتنوِّعةً، فرجعوا على أَعْقابِهم مهزومين لَمْ ينالوا خيرًا، وعرفوا حقَّ المعرفة أنَّه من المُحَال السَّيْطرة على الإسلامِ وعقائدِهِ وأخلاقِهِ، فعَمِلوا مؤامراتٍ واسعةً مُتنوِّعةً، وساعدوها بالقُوَّة، ودرسوا الإلحاد في المدارس الَّتي اغتفلوا أهلها، وذهبوا يُهَجِّنون جميع تعليمات الإسلام، وما يدعو إليه من الأخلاق، وما يحكم به من الأحكام، وقالوا: إنَّها رَجعيَّةٌ، ترجع بالنَّاس إلى الوراء عن التَّقدُّم المطلوب، وأَوْجَدوا لهم من أرباب المطامع المأجورين ومِنَ البُلَهاء المَغْرُورين مَنْ يَسْتعينون به على مَطْلوبِهم، والتَّزْهيد في الدِّين من كلِّ وجهٍ.

ولكن -ولله الحمد- قَدْ علم أهلُ البصائر مَقاصِدَهم، وعرفوا الخَوَنة مِمَّنْ

---

(1) هكذا سَمَّاهم الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ، على ما جَرَى إطلاق ذلك عليهم، وإن كان الأَوْلَى أن يُسَمُّوا (مُحتلين- مُستخربين)؛ فهم لم يقوموا يومًا بإعمارِ شِبر احتلوه.

ينتسب إلى مِلَّة الإسلام، وهو أعظمُ عدوٍّ للإسلام في صورةِ صديقٍ، وبَرْهن العلماءُ العارفون أنَّ كلَّ ما قيل في تَوْهين الدِّين وتخديره فهو باطلٌ، وأنَّ القائلين بذلك زنادقةٌ منافقون، يقولون ما يعلمون خلافه، وأنَّ السَّبيل الوحيد إلى الصَّلاح والتَّقدُّم الصَّحيح النَّافع من جميع الجهالات هو الأخذُ بتعاليم الإسلام بعقائدِهِ وأخلاقِهِ وأعمالِهِ وأحكامِهِ، وأنَّ البشر لا يمكن أن يحيوا حياةً طيِّبةً، ويعيشوا في الدُّنيا عيشةً هادئةً إلَّا بالدِّين، وأنَّ الإلحاد أعظم نكبةٍ طَرقَت البشر، وأنَّ آثاره الشَّرُّ الكبير، والإباحيَّة والفوضويَّة، وتَقْوِيض دَعَائم العُمران، والسَّيْر إلى الهلاك والشَّقاء.

فمتى رأيتَ مَنْ ينعق بذمِّ الرَّجعيَّة، وذمِّ كلِّ قديمٍ، ويأمر بنَبْذ ذلك؛ فاعلم أنَّه أحد رجلين: إمَّا ملحدٌ قصده بذلك التَّوسُّل إلى جَحْد أديان الرُّسُل، ونَبْذ ما جاؤوا به، وإمَّا مغرورٌ مخدوعٌ مُقلِّدٌ لهم، قَدْ غَرَّته هذه المدنيَّة الزَّائفة، وأعجبه رَوْنقها، وظنَّ بجهله أنَّها شيءٌ.

وهَؤُلَاءِ كاذبون في ذلك، فإنَّ أقوال زنادقتهم الأوَّلين عندهم بالمحلِّ الأعلى، ولا يكادون يُخَالفونَهم، ويُعظِّمونَهم أكبر مِمَّا يُعظِّمون الأنبياء، بل ليس للأنبياء في قُلوبِهم شيءٌ من التَّعظيم الصَّحيح، وإذا أردت أن تَعْرف كذبَهم بالبداهة، فهل العُلُوم النَّافعة، والأعمال الصَّالحة، والعقائد الصَّادقة، والأخلاق الفاضلة إلَّا وقَدْ جاء بِها الدِّين على أكمل الوجوه وأحسنها وأنفعها؟!

وتَتبَّع ذلك في أُصُول الدِّين وفُرُوعه، وظاهرِهِ وباطنِهِ، هل تجده إلَّا مشتملًا على كلِّ خيرٍ، هاديًا إلى كلِّ رشدٍ وصلاحٍ، حاثًّا على كلِّ فلاحٍ؟!

﴿ الوجه التاسع والستون: [الإسلام يقيم الدين والدولة]:

مِن مَحَاسِنِ الإسلامِ وقِيَامِه بكلِّ إصلاحٍ أنَّه ليس عقائدَ وأخلاقًا فقط، وإنَّما هو -مع ذلك- مُوجِّهٌ وحاكمٌ، وصاحبُ دولةٍ وجهادٍ، فالدِّين الإسلاميُّ بعقائدِهِ، وأخلاقِهِ، وآدابِهِ، وتوجيهاتِهِ، وحكمِهِ، وسلطتِهِ، وحمايتِهِ الحُقُوق الخاصَّة والعامَّة -كما هو مشروحٌ مُفصَّلٌ- من أكبر الأدلَّة على أنَّه تَنْزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ عليمٍ بكلِّ شيءٍ؛ إذْ شرع لهم هذا الدِّين الَّذي لَمْ يبقَ خيرًا إلَّا دلَّ عليه، وحثَّ عليه، ولا شرًّا إلَّا حَذَّر منه، ولا حقًّا إلَّا أقامه، ولا عدلًا إلَّا جعل له مسالكَ وطُرقًا يقوم عليها.

فهو دينٌ ودولةٌ، وجامعٌ بَيْن مصالح الدِّين والدُّنيا، وبَيْن التَّسامح والتَّيسير، وبَيْن العِزَّة والقُوَّة، والمقاومة لكلِّ معاندٍ مُحادٍّ معادٍ للدِّين وأهله، عكس ما نبزه المُلْحِدُون أنَّه دينٌ بلا دولةٍ، وآخرةٌ لا دنيا معها، فإنَّهم قالوا ذلك ليَتوسَّلوا إلى تَثْبيط أهله عن مقاومة المعتدين، وبذلك يُمهِّدون الطَّريق للأعداء المستعمرين الظَّالمين، فهَؤُلَاءِ الَّذين قالوا ذلك كَذَبوا وظلموا، وكادوا للإسلام وأهله، وكانوا أُجَرَاء وسماسرة للأعداء، والله أعلم.

﴿ الوجه السبعون: [من أكبر أسباب الإلحاد: الإعراض عن علوم الدين]:

إنَّ من أكبر أسباب الإلحاد: الإعراض عن عُلُوم الدِّين، وإلَّا فمَنْ عرف ما جاء به الكتاب والسُّنَّة؛ وعَلِم ما جاء به دينُ الإسلام ولو معرفةً مُتوسِّطةً، اسْتحَال أن يقع منه الإلحاد جهلًا وضلالًا، فإنَّ الدِّينَ بطبيعتِه وما اشتملَ عليه

مِن البراهين يَضطرُّ صاحبَه إلى الإقرار والاعتراف بوحدانيَّةِ الله، وصِدْق رُسُلِه، وبُطْلَانِ ما نَاقَضَ ذلك، فلا تجد ملحدًا إلَّا معرضًا من أعظم الجاهلين، أو معاندًا عارفًا من أكبر المباهتين المكابرين.

ومن المصائبِ الكبيرةِ أنَّ كثيرًا من العَصْريِّين ليس عنده بصيرةٌ ولا معرفةٌ بالدِّين، لا قليلةٌ ولا كثيرةٌ، وإنَّما عنده إقبالٌ على الصُّحُف المشتملة على الخير والشَّرِّ، وكثيرٌ منها تدعو إلى الإلحاد بأساليبَ وطرقٍ مُتنوِّعةٍ، فتصادف هَؤُلَاءِ الَّذين يَظنُّون أنفسهم عارفين، وهم من أجهل الجاهلين، وتملأ أذهانَهم من الآراءِ السَّخيفة، والنَّظريَّات المُخِيفة، وليس عندهم من العلمِ والدِّينِ ما يَصدُّهم ويَمْنعهم من الاندفاع مع هذا التَّيَّارِ المادِّيِّ.

وما أكثر الهالكين بِهذه الطَّريقة! وليس لهَؤُلَاءِ دواءٌ إلَّا الإقبال على معرفة الدِّين وعُلومِهِ وآدابِهِ وأخلاقِهِ، فنسأل الله السَّلامة والعافية.

ولا يُعْرف الدِّين بِتتبُّع أحوال مَنْ ينتسب إليه وهو منحرفٌ عنه، فإنَّ هذا من أعظم الظُّلْم وأنكر المنكر، وقَدْ صار هذا المسلك طريقًا لأعداءِ الإسلام الظَّاهريِّين والبَاطنيِّين، فقَدْ حَمَّلوا الإسلامَ أوزارَ مَنْ ينتسب إليه من مُلُوكٍ جائرين، وأمراء مُستبدِّين، وأدعياء منحرفين عن عقائِدِهِ وأخلاقِهِ، ومُتفلِّتين عن أحكامِهِ حتَّى صاروا أعظمَ حجابٍ للمُغْتربين، وأعظمَ حُجَّةٍ للمعاندين العارفين.

وإنَّما الواجبُ معرفةُ الإسلامِ من منابعِهِ ويَنْبوعِهِ الأصليِّ، وهو كتاب الله وسُنَّة رسولِ اللهِ القوليَّة والفعليَّة، وعمل الخلفاء الرَّاشدين والصَّالحين من أُمَّة مُحمَّدٍ، فإنَّ هذا هو الدِّين، وهو الأنموذج الصَّحيح لمَنْ يريد الإنصاف، أمَّا مَنْ يريد الاعتساف وقَصْدُهُ معروفٌ، فإنَّه يُزوِّر على ضعفاء العُقول والبصائر بِهذه التَّمْويهات، ويَنْسب إلى الدِّين ما هو منه بريءٌ.

وإذا كانت فُنُون العلم؛ كالطِّبِّ، والحساب، والهندسة، وما أشبهها، لا يقدح فيها مَنِ انْتَسَبَ إليها وهو جاهلٌ بِها، فكيف بِهذا الدِّين الَّذي تَفرَّعتْ عنه جميعُ العُلُوم النَّافعة، والمعارف الرَّاقية، والأخلاق العالية، وقَدْ ثَبتَتْ أُصُولُه حتَّى كانت أَثْبَتَ من الرَّواسي، وأضاء نورُه حتَّى أنار ما بَيْن الخَافِقَيْنِ[1]، واتَّسَعتْ آفاقُ إصلاحاتِهِ حتَّى شملت إصلاح الأفراد والجماعات، والحُكَّام والمحكوم عليهم، والظَّاهر والباطن، والدُّنيا والآخرة، فتبًّا لمَنْ قدح فيه بحال مَنْ ينسب إليه وهو أبعد النَّاس عنه، سبحانك هذا بُهتانٌ عظيمٌ!

﴿ الوجه الحادي والسبعون: [الملحدون يعارضون عقول العقلاء وعلوم الأنبياء]:

إنَّ مَدَارَ هَؤُلَاءِ المُلْحِدين على تحكيم عُقُولهم، وعَرْض العُلُوم والحقائق عليها، فما وافقها قَبِلوه، وما ناقضها نَفَوْه وأَنْكَرُوه، فَعَارَضُوا بِها عُقُول جميع العُقَلاء وعُلُوم الأنبياء وأتباعهم، وعُقُولهم قَدْ عُرِف فسادها وتناقضها وتَهَافتها.

فهذا الأصلُ الَّذي بَنَوْا عليه كلَّ شيءٍ أصلٌ مُنهارٌ متهافتٌ في غاية الفساد والاضطراب، وقَدْ فتحوا به للنَّاس المُغترِّين بِهم باب الفوضى في الآراء والنَّظريَّات، حتَّى صار كلُّ طائفةٍ، بل كلُّ شخصٍ منهم يَدَّعي أنَّ الصَّواب معه، والخطأ مع غيره.

ولهذا تَجرَّأ كلُّ جاهلٍ على القدح فيما جاءت به الرُّسُل، ونزلت به الكُتُب السَّماويَّة، حتَّى امتلأت الدُّنيا من الإلحاد، والدَّعوة إلى المَاديَّة المحضة.

---

(1) **الخَافِقَان**: طَرَفَا السَّمَاء والأَرْض، أو المَشْرق والمَغْرب.

واستجاب لدعوتِهم رِعَاع الخَلْق الَّذين لا علم عندهم، ولا دين، ولا أخلاق، وَخِيفَ أَنْ يقع -ولا بدَّ من وُقُوعِهِ- ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ حيث ثبت عنه أنَّه قال: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى لا يُقَال في الأرض: الله الله**»[1]، «**ولا تقوم السَّاعة إلَّا على شرار الخَلْق**»[2].

وصرنا في وقتٍ القابضُ فيه على دينِهِ كالقابضِ على الجمر، من كثرة الإلحاد والدَّعْوة إليه، وكثرة المعارضات الباطلة، والمَيْل بالكُليَّة إلى الدُّنيا وزخارفها ورئاستِها، حتَّى صار كثيرٌ من الكُتَّاب العَصْريِّين يَدعون إلى عِمَارة الدُّنيا، والإقبال بالقَلْب والقَالِب عليها، ونسيان الآخرة، ويُحرِّفون لذلك نُصُوص الكتاب والسُّنَّة؛ فانحرفوا بِهذا انحرافًا عظيمًا، وضَلُّوا وأَضلُّوا كثيرًا، وضَلُّوا عن سبيل الله، ولو أنَّهم دَعُوا الخَلْق إلى ما أَمَر اللهُ به المُؤْمِنين، وما أَمَرَ به المُرْسَلِين (بالأكل من الطَّيبات، والتَّمتُّع المباح من الدُّنيا، وطلبها الطَّلب الجميل، والتَّوسُّل بذلك إلى المقصود الأعظم، وهو إصلاحُ الدِّين، والقيام بعُبوديَّة الله الَّتي خَلَق الله لَها الخَلْق، وأن يَجْعلوا ما مُتِّعوا به من النِّعم معونةً لهم على ما خلقوا له) لكان خيرًا لهم وأقوم، وأصلح للعاجل والآجل، ولَنَالوا السَّعادتين، ولَسلِمُوا من الفساد وانْهيار العقائد والأخلاق، ولكنَّهم مُتِّعوا ونُعِّمُوا وبَطَرُوا ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان:18][3]، إنَّهم

---

(1) أخرجه مسلم (148) من حديث أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (1924) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(3) **ذَكَرَ الإمامُ ابنُ كَثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية أن الملائكة قالت**: «﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾، أي: نَسُوا مَا أَنْزَلْتُه إِلَيهم على أَلْسِنَة رُسُلِك مِن الدَّعوة إِلَى عِبَادتك وَحْدَك لا شريكَ لك.
﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾؛ **قال ابن عَبَّاس**: أي: هَلْكَى. وقال الحَسَنُ البَصري، ومَالكٌ عَن الزُّهري: أي: لا خَيْرَ فِيهم».

كانوا قبلُ مُتْرفين، ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة:46، 47]، الآيات[1]، ولهذا نسألُ اللهُ العَافِيةَ.

تجد أمثال هَؤُلَاءِ السَّاقطين يَتهكَّمون بالجزاء الدُّنيويِّ والأخرويِّ، ويَسْخرون من المؤمنين القائمين بِوَاجباتِهم الَّذين هم في الحقيقة أعلى النَّاس عُلومًا وأخلاقًا وأعمالًا ومقاماتٍ، وهَؤُلَاءِ المُؤمنون لا يَغْبِطُون ما مُتِّع به هَؤُلَاءِ المُلْحِدُون من أموالٍ وأولادٍ، ويَتْلون عند ذلك قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون:55، 56]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران:178]، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: 196، 197].

❁ الوجه الثاني والسبعون: [أهل الإلحاد ليس لهم عقل ولا دين]:

إذا أردتَ أن تَعْلَم عِلْمَ اليَقين أنَّ أهل الإلحاد ليس عندهم عقلٌ كما لا دين لهم، وأنَّه ليس عندهم إلَّا المكابرة والجُحود في قَدْحهم في القديم، أو العَتيق، أو مَا أَشْبه ذلك من عِبَاراتِهم السَّخيفة؛ كالرَّجعيَّة وشِبهها، فاعْرِضْ نَمُوذجًا من تَفَاصيل ما يَدعو إليه الدِّينُ، ويَحثُّ عليه، وما يُحذِّر عنه، تعرف بِها أنَّ المنكرين

---

(1) قال الإمامُ ابنُ كَثِير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لهذه الآيات: «أي: كَانُوا في الدَّارِ الدُّنْيا مُنَعَّمِين مُقْبِلِين على لَذَّاتِ أنفسِهم، لَا يَلْوُون عَلى ما جَاءَتْهُم به الرُّسُلُ».

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يُصَمِّمون، ولا يَنْوُون تَوْبةً، ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ وهو الكُفْرُ بالله، وجَعْل الأَوْثَان والأَنْدَاد أَرْبابًا مِن دون الله».

لَها في فسادٍ من عُقولهم، وانعكاسٍ من آرائهم، وسفاهةٍ من عُلومهم، وخِسَّةٍ من أخلاقهم، وأنَّ كلَّ قولٍ أو عقيدةٍ أو خُلقٍ أو عملٍ ليس عليه أمرُ الدِّين فهو مردودٌ شرعًا وعقلًا وفطرةً.

ليس هذا مُجرَّد دعوى، وإنَّما هو مِمَّا يَتَّفق عليه العقلاء، فالدِّينُ الإسلاميُّ (الَّذي هو دينُ مُحمَّدٍ ﷺ وجميع الرُّسُل) يدعو إلى الإيمان بالله وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورُسلِهِ واليومِ الآخر، والاعتراف بوحدانيَّة الله، وتَفرُّده بكلِّ كمالٍ، وتَفرُّده بالخَلْق، والرِّزق، والنِّعم الظَّاهرة والباطنة، والقيام بعُبوديَّة الله ظاهرًا وباطنًا، والتَّوجُّه إليه وحده، وخوفه ورجائه وحده، والإنابة إليه في جميع النَّوائِبِ والمُلِمَّات، والشَّكْوى إليه في كلِّ المهمَّات، والقيام بحمده وشكره، واللَّهج بذِكْره ودعائِهِ، والتَّعلُّق به وحده في كلِّ شيءٍ، وتَرْك التَّعلُّق بالمخلوقين.

فهل هذا خيرٌ، أم الكُفر بالله، والجُحُود والتَّعْطيل لأوصافِهِ، وكُفْر نِعَمِه، والطُّغيان والاستكبار عن عبادتِهِ، وتَعلُّق القُلُوب بالمخلوقين رغبةً ورهبةً ورجاءً، كما هو حال المُلْحِدين؟!

والدِّينُ الإسلاميُّ يَدْعُو إلى الصِّدق في الأقوالِ والأفعالِ، وإلى البرِّ والنُّصح للخَلْق كُلِّهم، والقيام بحقِّ الوالدين والأقارب، ومَنْ للإنسان بِهم تَعلُّقٌ وصلةٌ، ومَنْ لهم حقٌّ عليه، ويأمر بإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكَاة، وصيام رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام، والقيام بشرائع الدِّين، وأهلُ الإلحادِ يَقُولون ويَفْعلون ما يناقض ذلك.

والدِّينُ الإسلاميُّ يَأمر بالعدل في المعاملات كلِّها، والقيام بالحُقُوق كلِّها، ويَنْهى عن الظُّلم في الدِّماء والأموال والأعراض، والوفاء بالعُهُود والعُقُود، ومراقبة الله في حال قيام العبد بِها ليُوفِّيها حقَّها، ويبتعد عن شُرُورها ومَفَاسِدها

خوفًا من الله، ورجاءً لثوابه.

وأهلُ الإلحادِ يَأمرون بضدِّ ذلك، وليس في ضمائرهم خوفٌ ولا مراقبةٌ لله، وإنَّما هي تُشْبه أفئدة البهائم، بل أضلُّ، فحيث ما دَفَعتْهم إلى الأغراض الخسيسة والظُّلم، واغتنام الخيانات، وتضييع الأمانات- اندفعوا إليها، ليس عندهم دينٌ، ولا خُلقٌ، ولا مراعاةُ ذِمَّةٍ، إنَّما هي الإباحيَّة المحضة، وليس عِندهم خشيةٌ إلَّا من مخلوقٍ أقوى منهم، فهَؤُلَاءِ كالأنعام بل هم أضلُّ، وهَؤُلَاءِ لَمْ تَنْفَعْهم إدراكاتُهم ولا مشاعرهم نفعًا يُجْدي.

وبالجملة: الدِّينُ الإسلاميُّ يدعو إلى كلِّ خُلقٍ جميلٍ، وعملٍ صالحٍ، وهدى مستقيمٍ، وطريقٍ قويمٍ، وصلاحٍ مُتنوِّعٍ، فكلُّ مَنْ خالفه، وَقَع في ضدِّ هذه الأمور الجميلة، وسقط في مهاوي الهلاك والأخلاق الرَّذيلة، فلقَدْ تَعِس وانْتكَس مَنْ عَبَّر عن عقائد الدِّين وأخلاقه وأعماله الَّتي لا حياةَ للوجود إلَّا بها بالرَّجعيَّة، والرُّجوع إلى القديم، والعبادات الوسخة الَّتي هي أكبر مُعبِّرٍ عن سخافة عُقول مُعبِّريها، وسُقُوطهم في كلِّ رذيلةٍ، وخُلوهم من كلِّ فضيلةٍ، ولقَدْ قال إخوانُهم السَّابقون عن القرآن ومَنْ جاء به: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام:25]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام:7]، ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:41]، ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام:10].

❁ الوجه الثالث والسبعون: [غرض الملحدين تنحية الدين عن المتعلمين]:

ذكرنا فيما سبقَ أنَّ أعظمَ ما يُبطلُ الإلحادَ معرفةُ دين الإسلام والعمل به،

وأنَّه بطبيعتِهِ وبراهينِهِ وآياتِهِ يضمحلُّ مَعَهُ كلُّ باطلٍ من كلِّ وجهٍ، خصوصًا أقبح الباطل وأشنعه وأشده منافاةً للعقل والدِّين وهو الإلحاد.

وقَدْ عرف أهلُهُ هذا منه، وأنَّه لا بقاء له مع الدِّين، فتَوسَّلوا بتَنْحية الدِّين عن المُتعلِّمين، وأبعدوه عن المدارس، فإِنْ لَمْ يَتمكَّنوا، جَعَلوا التَّعليم في الدِّين ضعيفًا، أو اسمًا بلا مُسمًّى.

فهُمْ عند التَّمكُّن يُنحُّون الدِّين جملةً، ويُدْخلون في تعليم المدارس أُصُول الإلحاد، فيَخْرج المُتعلِّمون مُلحدين صِرْفًا، فإنْ لَمْ يُمكَّنوا من إدخال الإلحاد فيها، اجتهدوا في إضعاف عُلُوم الدِّين، واقْتصَروا على العُلُوم العصريَّة؛ ليذهب من قُلوب النَّاشئة حبُّ الدِّين، ويَسْهل تَوْجيههم إلى نَبْذه والاستبدال به ضدُّه، فإنَّ البصيرة في الدِّين إذا ضعفت، والقُلُوب إلى غيره تَوجَّهت؛ انْهارت الأديانُ والأخلاقُ كما هو مشاهدٌ معلومٌ في كلِّ المدارس الَّتي على الوَصْف الَّذي ذكرنا.

فيَتعيَّن على المسلمين وعلى وُلَاة أمورهم أَنْ يَعْتنوا غايةَ الاعتناء في عُلومِ الدِّين وأخلاقه، فإنَّ هذا من أفرض الفروض، وبه يحصل كلُّ خيرٍ، ويندفع أعظم شرٍّ.

فإنَّ النَّاشئين في المدارس إذا خرجوا منها وقَدْ تَمكَّنوا من عُلُوم الدِّين، وصار عندهم بصيرةٌ صحيحةٌ فيه؛ فإنَّهم ينفعون أُمَّتهم، وينفعون غيرهم، وإلَّا فَلْيعلَموا أنَّهم رعاةٌ، وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رَعيَّته، فهم مسؤولون عن النَّاشئة المُتعلِّمين في المدارس، فإذا لَمْ يُثقِّفوهم ثقافةً دينيةً، صاروا أكبر سلاحٍ للأعداء على أُمَّتهم، فكيف إذا انصرفت قُلوبُهم عن الرَّغبة في عُلوم الدِّين وأخلاقه إلى الاقتداء الضَّارِّ بأعداءِ الإسلام في عُلُومهم وسُلُوكهم وعاداتِهم، فإنَّه ما شاع

الإلحاد في البلاد الإسلاميَّة إلَّا بِهذه الطَّريقة، فكيف إذا نصرتَها قُوَّة الوُلَاة، وصاروا هم العَوْن الأكبر لانحراف المدارس الابتدائيَّة والثَّانويَّة والجامعات، وطردوا عنها الدِّين أو أضعفوه.

فنرجو اللهَ أن يُوفِّق وُلَاة المُسْلِمين المَرجوع إليهم لهذا الأمر العظيم، الَّذي خطرُهُ كبيرٌ، وشرُّه مَستطيرٌ، وإلَّا فلا يَلُومُنَّ إلَّا أنفسهم إذا خَسِرُوا الدِّينَ والدُّنيا، والله المستعان.

❁ الوجه الرابع والسبعون: [اللّه أعظم من أن يجحد]:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّبُّ تعالى أعرفُ من أن يُنكر، وأعظم من أن يُجْحد؛ ولهذا قالت الرُّسُل لأُمَمِهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:10]، وهو الغنيُّ بذاتِهِ عن جميع الموجودات، فإنَّ افتقارَ كلِّ ما سوى الله هو حكمٌ وصفةٌ ثَبتتْ لما سِوَاه.

فكلُّ ما سواه -سواء سُمِّي مُحْدِثًا، أو مُمْكِنًا، أو مَخْلوقًا، أو غير ذلك- هو مُفتقرٌ مُحتاجٌ إليه، لا يُمكن استغناؤه عنه بوجهٍ من الوجوه، ولا في حالٍ من الأحوال، بل كما أنَّ غِنَى الرَّبِّ من لوازم ذاتِهِ، ففقر المُمْكِنات مِن لوازم ذاتِها، وهي لا حقيقة لَها إلَّا إذا كانت موجودةً، فإنَّ المعدوم ليس بشيءٍ، فكلُّ ما هو موجودٌ سِوَى الله؛ فإنَّه مفتقرٌ إليه دائمًا حالَ حدوثِهِ، وحالَ بقائِهِ، وهذا يوجب افتقاره إليه دائمًا». انتهى[1].

فعُلِم بِهذا أنَّ جُرأة المَخلوق الفَقِير على إنكار الرَّبِّ الغنيِّ القائمِ بنفسه،

(1) انظر «منهاج السنة النبوية» (1/ 167).

القائمِ بكلِّ موجودٍ، أو إنكارِ وَحْدانيَّته، أو حقٍّ من حقوقِهِ من أَسْخَفِ الجِنَايات وأطمِّها، وأنَّ هذا المخلوقَ الفقيرَ من كُلِّ وجهٍ قَدْ تعدَّى حَدَّه وطَوْره.

قال الشَّيخ: «وإذا كانت الرُّسُلُ والأنبياءُ ومَنِ اتَّبعهم -وَهُمْ أممٌ لا يُحْصي عددهم إلَّا الله- قَدْ أخبروا بوحدانيَّة الله وتَفرُّده بصفات الكمال، وَهُمْ مُستيقنون ذلك، لا يَرْتَابون فيه، وَهُمْ عددٌ كثيرٌ أَضْعَاف أَضْعَاف أيِّ تَوَاترٍ قُدِّر، قَدِ اتَّفقتْ أقوالُهم وأفعالُهم وهِدَايتهم على ذلك، عُلِمَ أنَّه هو الحقُّ الَّذي لا رَيْبَ فِيه، وما سِوَاه باطلٌ». انتهى[1].

❁ الوجه الخامس والسبعون: [العقل مصدق للشرع]:

قال شيخ الإسلام فِي رَدِّه قول الفلاسفة ومَنْ تبعهم من المُنْحَرِفين في قولهم: «إنَّ العقل يجب تقديمه على السَّمع»: «وإذا تَعَارَضَ الشَّرْعُ والعَقْلُ؛ وَجَب تقديم الشَّرْع؛ لأنَّ العقلَ مُصدِّقٌ للشَّرْع في كلِّ ما أخبر به؛ لأنَّ العقلَ دلَّ عَلَى أنَّ الرَّسولَ ﷺ يجبُ تصديقُهُ فيما أَخْبر، وطاعتُهُ فيما أَمَر، والعقلُ يدلُّ على صِدْق الرَّسول دلالةً عامَّةً مُطْلقةً». انتهى[2].

ووجهُ خُضُوع عَقْل العقلاءِ المُعتبرين للشَّرع أنَّهم شاهدوا من براهين الرِّسالة وآياتِها المُتعدِّدة المُتنوِّعة ما يَضطرُّهم اضطرارًا لا مَحِيد لهم عنه أنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله حقًّا، فلو قَدَّمنا شيئًا مِمَّا قيل إنَّه معقولٌ على ما جاء به

---

(1) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 76)، الذي قال عنه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «نونيته» (ص230):

واقرأ كتـــابَ «العَقْـل والنَّقـل» الـــذي ... مـــا في الوُجُـــود له نَظِـــيرٌ ثَـــــــان

(2) انظر «درء تعارض العقل والنقل»، وكذلك انظر «الصواعق المرسلة» للإمام ابن القَيِّم (3/ 807).

obeikandl.com

الرَّسول؛ لعلمنا أنَّه معقولٌ فاسدٌ؛ لئلَّا يَلزم تَنَاقض قضايا العقل.

فأعظمُ القضايا الَّتي حَكَم بِها العقل: قضيَّة صِدْق الرَّسول ﷺ، فمتى أَنْكَر هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَة هذي القضيَّة الكُبرى اليَقينيَّة، قطعنا أنَّهم معاندون للعقل، كما أنَّهم معاندون للشَّرْع.

وإذا تَقرَّر أنَّ العقلَ دلَّ دلالةً عامةً مُطلقةً على صِدْق الرَّسول في كلِّ خبرٍ وحكمٍ؛ كان إيراد المورد على بعض جُزئيَّات الشَّريعة معلوم الفساد، وكان عِلْمنا العام بصِدْق الرَّسول في كلِّ شيءٍ يقضي على جميع الجُزئيَّات.

ونِهاية الأمر أَنْ يَكُون الَّذي وَقَع في الإشكال من المُشْتبهاتِ، والمُشْتبهاتُ يَتعيَّن رَدُّها إلى المحكمات، وهو الأصلُ العَظيم المُحكم الَّذي تَوَارَدَت عليه جميعُ البراهين اليقينيَّة، وهو صِدْق الرَّسول، وصِحَّة ما جاء به، والله أعلم.

قال الشَّيخ: «وإذا كان الأمرُ كذلك، فإذا علم الرَّجل بالعقل أنَّ هذا رسول الله، وعلم أنَّه أخبر بشيءٍ، ووجد في عقله ما ينازعه في خبره؛ كان عقلُهُ يوجب عليه أن يسلم مَوَارد النِّزاع إلى مَنْ هو أعلم به منه، وألَّا يُقدِّم رأيه على قولِهِ، ويعلم أنَّ عقلَه قاصرٌ بالنِّسْبة إليه، وأنَّه أعلم باللهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، واليوم الآخر منه، وأنَّ التَّفاوت الَّذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التَّفاوت الَّذي بَيْن العَامَّة وبَيْن أهل العلم بالطِّبِّ.

فإذا كان عقلُهُ يُوجِب أن ينقادَ لطبيبٍ يهوديٍّ فيما أخبره به من مُقدَّرات الأغذية والأشربة والأضمدة والمُسَهِّلَات، واستعمالها على وجهٍ مخصوصٍ - مع ما في ذلك من الكُلْفة والألَمِ- لظنِّه أنَّ هذا أعلم بِهذا منِّي، وأنِّي إذا صَدَّقته كان أقرب لحُصُول الشِّفاء لي، مع علمه بأنَّ الطَّبيب يخطئ كثيرًا، وأنَّ كثيرًا من

النَّاس لا يشفى بِما يصفه الطَّبيب، بل يَكُون استعمالُهُ لما يصفه سببًا في هلاكه، ومع ذلك يقبل قولَه ويُقلِّده، وإنْ كان ظنُّه واجتهادُهُ يخالف وَصْفه، فكيف حال الخَلْق مع الرُّسُل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، والرُّسُل صادقون مُصدَّقون، لا يجوز أن يَكُون خبرهم على خلاف ما أخبروا به قطُّ، وأنَّ الَّذين يعارضون أقوالهم بعُقُولهم عندهم من الجهل والضَّلال ما لا يُحْصيه إلَّا ذو الجلال، فكيف يجوز أن يعارض ما لَمْ يخطئ قطُّ بِما لَمْ يُصِبْ في معارضةٍ له قطُّ؟!». انتهى[1].

وقال أيضًا: «والَّذين ادَّعوا في بعض المسائل أنَّ لهم معقولًا صريحًا يناقض الكتاب، قابلهم آخرون من ذوي المَعقولات، فقالوا: إنَّ قولَ هَؤُلَاءِ معلومٌ بطلانه بصريح المعقول، فصار ما يُدَّعى معارضةً للكتاب من المعقول، ليس فيه ما يجزم به معقولٌ صحيحٌ: إمَّا بشهادة أصحابه عليه، وشهادة الأُمَّة، وإمَّا بِظُهُور تَناقُضهم ظهورًا لا ارتياب فيه، وإمَّا لمعارضة آخرين من أهل هذه المعقولات لهم، بل مَنْ تَدبَّر ما يُعارِضون به الشَّرْع من العَقليَّات، وَجَد ذلك مِمَّا يُعْلم بالعقل الصَّريح بطلانه.

والنَّاسُ إذا تَنازَعوا في العُقولِ لَمْ يكن قولُ طائفةٍ لَها مذهبٌ حُجَّةً على أخرى، بل يُرْجع في ذلك إلى الفِطَر السَّليمة الَّتي لَمْ تَتغيَّر باعتقادٍ يُغيِّر فطرتِها ولا هوى.

وإذا كان فُحُول النَّظَر وأساطين الفلسفة الَّذين بلغوا في الذَّكَاء والنَّظر إلى الغاية، وهم ليلهم ونَهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليَّات، ثُمَّ لَمْ يصلوا فيها إلى معقولٍ صريحٍ يناقض الكتاب، بل إمَّا إلى حيرةٍ وارتيابٍ، وإمَّا إلى اختلافٍ

---

(1) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 80).

بَيْن الأحزاب، فكيف غير هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَمْ يبلغ مَبْلغهم في الذَّكَاءِ والذِّهنِ ومعرفة ما سلكوه من العقليَّات؟!

فهذا وأمثالُهُ مِمَّا يُبيِّن أنَّ مَنْ أعرض عن الكتاب وعَارَضه بِما يناقضه لَمْ يعارضه إلَّا بِما هو جهلٌ بسيطٌ، أو جهلٌ مُركَّبٌ(1):

فالأوَّل: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور:39] الآية.

والثَّاني: ﴿كَظُلُمَٰتٌ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ [النور:40] الآية.

وأصحابُ القرآنِ والإيمانِ في نُورٍ على نُورٍ»(2).

وذلك لأنَّ الآياتِ والبراهينَ دالَّةٌ على صِدْق الرُّسُل، وأنَّهم لا يقولون على الله إلَّا الحقَّ، وأنَّهم مَعصومون فيما يُبلِّغون عن الله من الخبر والطَّلَب، لا يجوز أن يستقرَّ في خبرهم عن الله شيءٌ من الخطأ كما اتَّفق على ذلك جميع المُقرِّين بالرُّسُل من المسلمين واليهود والنَّصارى وغيرهم.

فَوَجَبَ أنَّ كلَّ ما يخبر به الرَّسول عن الله صدقٌ وحقٌّ، لا يجوز أن يَكُون في ذلك شيءٌ مناقضٌ لدليلٍ عقليٍّ ولا سمعيٍّ، فمتى عَلِم المؤمنُ بالرَّسُولِ أنَّه أَخْبَر بشيءٍ من ذلك- جَزَم جَزْمًا قَاطعًا أنَّه حقٌّ.

وأنَّه لا يجوز أن يَكُون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنَّه يمتنع أن يعارضه

---

(1) **الجهلُ البسيطُ** هو: أن تَجهل فقط، ولذا سُمِّي بَسيطًا.

وأمَّا المُركَّب فهو: أن تَجهل، وتَجهل أنَّك تجهل، لذلك سُمِّي مُرَكَّبًا؛ لأنَّه مُرَكَّب من جَهْلَين: جَهل بالأمر، وجَهل بالجهل به، ولذا قال القائل:

لمَّا جَهِلْتَ جَهِلْتَ أنَّك جاهلٌ ... جَهلًا وجَهل الجَهل داءٌ مُعْضِلُ

(2) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 97).

دليلٌ قطعيٌّ، ولا عقليٌّ، ولا سمعيٌّ، وأنَّ كلَّ ما ظنَّ أنَّه عارضه من ذلك فإنَّما هو حُججٌ داحضةٌ، وشُبَهٌ من جنس شُبَه السُّوفسطائيَّة.

وإذا كانَ العقلُ العالمُ بصِدْق الرَّسول قَدْ شهد له بذلك، وأنَّه يمتنع أن يُعارِض خبرَه دليلٌ صحيحٌ، كان هذا العقلُ شاهدًا بأنَّ كلَّ ما خالف خبر الرَّسول فهو باطلٌ، فيكون هذا العقلُ والسَّمْع جميعًا قَدْ شهدا ببُطلانِ العَقل المُخَالِف للسَّمْع». انتهى[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **حين تكلَّم عن الفلاسفة**: «ثُمَّ إنَّه ليس عندهم من المعقول ما يعرفون به أحد الطَّرفين، فيكفي في ذلك إخبار الرُّسُل عن خَلْق السَّماوات والأرض، وحدوث هذا العالَم.

والفلسفةُ الصَّحيحة المَبنيَّة على المَعْقُولات المَحْضَة تُوجِب عليهم تَصْديق الرُّسُل فيما أخبروا به، وتُبيِّن أنَّهم علموا ذلك بطريقٍ يَعجزون عنها، وأنَّهم أعلمُ بالأُمُور الإلهيَّة، والمَعَاد، وما يُسْعد النُّفوس ويُشْقيها منهم.

وتَدلُّهم على أنَّ مَنِ اتَّبع الرُّسُل كان سعيدًا في الآخرة، ومَنْ كَذَّبَهم كان شقيًّا في الآخرة، وأنَّه لو علم الرَّجل من الطَّبيعيَّات والرِّياضيَّات ما عسى أن يعلم، وخرج عن دين الرُّسُل؛ كان شقيًّا، وأنَّ مَنْ أطاع الله ورسوله بحسب طاقته كان سعيدًا في الآخرة، وإنْ لَمْ يعلم شيئًا من ذلك، ولكن سَلَفهم أكثروا الكلامَ في ذلك؛ لأنَّهم لَمْ يكن عندهم من آثار الرُّسُل ما يَهْتدون به إلى توحيد الله وعبادته وما ينفع في الآخرة، وكان الشِّرْك مستحوذًا عليهم، وكان مُنْتهى عقلهم أمورًا عقليَّةً كُليَّةً؛ كالعلم بالوجود المطلق، وانقسامه إلى عِلَّةٍ ومعلولٍ، وجوهرٍ

(1) انظر «منهاج السنة النبوية» (1/ 262، 263)، و«دقائق التفسير» (2/ 229).

وعرضٍ، وتقسيم الجواهر ثمَّ تقسيم الأعراض، وهذا هو عندهم الحكمة العليا والفلسفة الأولى، ومنتهى ذلك العلم بالوُجُود المطلق الَّذي لا يوجد إلَّا في الأذهان دون الأعيان، ليس فيها علمٌ بموجودٍ مُعيَّنٍ؛ لا بالله وبملائكتِهِ، ولا بغير ذلك، وليس فيها مَحبَّةٌ لله، ولا عبادةٌ له، فليس فيها علمٌ نافعٌ، ولا عملٌ صالحٌ، ولا يُنْجي النُّفوس من عذاب الله، فضلًا عن أن يُوجِب لَها السَّعادة»[1].

﴿ الوجه السادس والسبعون: [وجوب طاعة الرسول ﷺ لثبوت صدقه]:

قال شيخ الإسلام: «من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّه يجب على الخَلْق الإيمان بالرَّسول إيمانًا مطلقًا جازمًا عامًّا بتصديقه في كلِّ ما أخبر به، وطاعته في كلِّ ما أمر، وأنَّ كلَّ ما عارض ذلك فهو باطلٌ، وأنَّ مَنْ قال: (يجب تصديق ما أدركته بعقلي، وردُّ ما جاء به الرَّسول لرأيي وعقلي، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرَّسول مع تصديقي بأنَّ الرَّسول صادقٌ فيما أخبر به)، فهو متناقضٌ، فاسدُ العقل، ملحدٌ في الشَّرْع، وأمَّا مَنْ قال: (لا أُصدِّق ما أخبر به حتَّى أعلمه بعقلي)، فكفرُهُ ظاهرٌ، وهو مِمَّنْ قيل فيه: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:124].

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر:83].

---

(1) انظر «الرد على المنطقيين» (ص139/ 140).

ومَنْ عارض ما جاءت به الرُّسُل برأيه، فله نصيبٌ من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر:34، 35]. ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر:56].

والسُّلطان هو الكتاب الْمُنَزل من السَّماء، فكلُّ مَنْ عارض كتاب الله الْمُنَزل بغير كتاب الله الَّذي قَدْ يَكُون ناسخًا له؛ أو مُفسِّرًا له، كان قَدْ جَادَلَ في آيات الله بغير سُلطانٍ أَتَاه». انتهى[1].

❁ الوجه السابع والسبعون: [جميع الأديان متفقة على إثبات ربوبية الله]:

جميع الأُمم (أهل الأَدْيَان من المُسْلِمين واليهود والنَّصَارى وغيرهم حتَّى المشركين) مُتَّفقون على إثبات رُبوبيَّة الله، وأنَّه الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ، الخالق لكلِّ شيءٍ، الرَّازق المُدبِّر لكلِّ شيءٍ، وأئمَّتهم في هذا الأنبياءُ والمُرسلون وأهل الهدى من العلماء الرَّبَّانيِّين أهل العُلُوم الغزيرة، والعُقُول الوافية، والمعارف الصَّافية، الأوَّلين منهم والآخرين على هذا الأصل العظيم، مُتَّفقون على علمٍ وبصيرةٍ ويقينٍ، قَدِ اطمأنَّت قُلوبُهم بذلك، وسكنت نُفُوسهم به، وصار في قُلُوبِهم أكبر الحقائق وأصحها وأوضحها.

وخَالَفهم من هذا شِرْذمةٌ من زنادقة الدَّهْريِّين الَّذين يقولون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24].

---

(1) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 97)، و«الصواعق المرسلة» للإمام ابن القَيِّم (3/ 901).

وسَلَك سبيلَهم زنادقةُ المَاديِّين، وهم لَمْ ينكروا ذلك عن علمٍ دَلَّهم عليه، ولا سمعٍ، ولا عقلٍ، ولا فطرةٍ، إنَّما هو مُجرَّد استبعاداتٍ وجحودٍ ومكابراتٍ، ومع ذلك فأقوالُهُم فيما يُثْبتون من النَّظريَّات والقول في العلل غير مُتَّفقةٍ، كلُّ فريقٍ بنظريَّاتِهم الخاطئة فرحون، ولإخوانِهم من الزَّنادقة معارضون، فدَعْهم في طُغيانِهم يَعْمهون، وفي اضْطرابِهم وتَخالفهم يَتردَّدون، وفي غَيِّهم وجهلهم وسفاهة عُقُولهم وما انتهت إليه معارفهم في هذا الأمر من المضحكات يَمْرحون، واحمد اللهَ الَّذي عافاك من هذه البليَّة الشَّنعاء، والطَّامَّة الكبرى، وقُلْ معترفًا بنعمة الله مُتبجِّحًا بفضل الله[1]: آمنتُ بِما أنزل اللهُ من كُتُبه السَّماويَّة، وآمنتُ بجميع الأنبياء والمرسلين، وشهدتُ بِما شهد به لنفسه، وشهد به خيارُ خَلْقه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:18]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:53].

❁ الوجه الثامن والسبعون: [ضرب الله الأمثال لتقرير التوحيد والرسالة والمعاد]:

إنَّ الله ضرب الأمثال في كتابه لتقرير التَّوْحيد، وتقرير الرِّسالة والمعاد، وإبطال قولِ مَنْ ينفيها أو يقدح في شيءٍ منها، والأمثالُ أقيسةٌ عقليَّةٌ تُنبِّه العقول والفِطَر على تقرير الحقِّ والاعتراف به، وإبطال الباطل، وكلُّها تُبْطل أقوال المُشْرِكين والمُكذِّبين للرُّسل من مُشْركين ومُلْحِدين ومُنْحرفين؛ كقوله: ﴿وَمَن

(1) التبجح هنا بمعنى: التَّفَاخر، والتَّبَاهِي، والتَّحَدُّث بالنِّعْمَة.

يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:31]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:73]، وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:29]، إلى غير ذلك من الأمثلة المُقرِّرة لهذه الأُصُول العظيمة، المُبْطلة لأقوال المُبْطلين والمُعطِّلين، وكذلك ما ضربه الرَّسول مُحمَّدٌ ﷺ من الأمثلة المُقرِّرة لأُصُول الدِّين.

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكِتَابُ والسُّنَّة يدلُّ بالأخبار تارةً، ويدلُّ بالبيِّنة تارةً، والإرشاد والبيان للأدلَّة العقليَّة تارةً، وخُلَاصة ما عند أرباب النَّظر العقليِّ في الإلهيَّات من الأدلَّة اليقينيَّة والمعارف الإلهيَّة قَدْ جاء به الكتاب والسُّنَّة مع زياداتٍ وتكميلاتٍ لَمْ يَهْتدِ إليها إلَّا مَنْ هداه الله بخطابه، فكلُّ ما قَدْ جاء به الرَّسولُ من الأدلَّة العقليَّة والمَعَارف اليَقينيَّة فوق ما في عُقُول جميع العقلاء من الأوَّلين والآخرين». انتهى[1].

وقال أيضًا: «معلومٌ بالسَّمْع اتِّصاف الله بالأفعال الاختياريَّة القائمة به؛ كالاستواء إلى السَّماء[2]، وعلى العَرش[3]، والقَبْض، والطَّيِّ[1]،

---

(1) انظر «منهاج السنة النبوية» (2/ 57).

(2) قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:29].

(3) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54].

والإتيان[2]، والْمَجيء[3]، والنُّزول[4]، ونحو ذلك، بل والخَلْق والإحياء والإماتة، فإنَّ الله وَصَف نفسه بالأفعال اللَّازمة والمُتعدِّية، والفعلُ المُتعدِّي مستلزمٌ للفعل اللَّازم، فإنَّ الفِعل لا بُدَّ له من فاعلٍ؛ سَوَاء كان مُتعدِّيًا إلى مفعولٍ، أو لَمْ يكن، والفاعلُ لا بدَّ له من فعلٍ؛ سواء كان فعلُهُ مُقتصرًا عليه، أو مُتعدِّيًا إلى غيره، والفعلُ المُتعدِّي إلى غيره لا يَتعدَّى حتَّى يقوم بفاعله؛ إذ كان لا بدَّ من الفاعل، وهذا معلومٌ سَمْعًا وعَقْلًا، واللهُ تعالى حَيٌّ قَيُّومٌ لَمْ يَزَل مَوصوفًا بأنَّه يَتكلَّم بِما شاء، فَعَّالٌ لما يَشَاءُ». انتهى[5].

❁ الوجه التاسع والسبعون: [اللّه يقول الحق، ويحكم بالعدل، ويهدي السبيل]:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:4]، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:33].

=

(1) قال جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:67].

(2) قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة:210].

(3) قال جل جلاله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:22].

(4) أخرج البخاري (1145) ومسلم (758) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنا تَبَارك وتَعَالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاء الدُّنيا حِين يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِر يَقُول: مَنْ يَدْعُوني، فَأَسْتَجِيب لَه؟ مَن يَسْأَلُني فَأُعْطِيه؟ مَن يَستغفرُني فَأَغْفِرَ له؟**».

(5) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 241).

فأخبر أنَّه يقول الحقَّ وهو الصِّدق فيما أخبر به، والعدل فيما حَكَم به، وأنَّه يهدي السَّبيل[1]، فيُبيِّن لعباده البراهين والأدلَّة الدَّالَّة على الحقِّ، ويُري العبادَ آياته في الآفاق، وفي أنفسهم حتَّى يَتبيَّن لهم أنَّه الحقُّ[2]، وما أَخْبَر به من الحقِّ، ودلَّ عليه بالبَراهين من العُلُوم النَّافعة والمعارف الصَّادقة مِمَّا يُقَرِّر به جميعَ الأُصُول الَّتي هَدَى بِها عبادَه على أَلْسِنَة رُسُله، وما أَجَابَ بِهِ كُلَّ مُبطلٍ أَوْرَدَ الشُّبَهَ على الحقِّ الجوابَ القَاطِع لشُبْهته، المُبْطل لحُجَّته، فهو ظاهرٌ واضحٌ للعباد، وهو من الحقائق الَّتي لا يمكن تَغْييرُها، ولا تَبْديلُها، ولا قيامُ علمٍ صحيحٍ ينافيها، بل كلُّ ما خالفها وناقضها عَلِمْنا بطلانه على وجه الإجمال، وعلى وجه التَّفْصيل.

أمَّا على وجه الإجمال: فاللهُ يقول الحقَّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:115]، فكلُّ ما ناقض ذلك فهو باطلٌ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:32]؟!

وأمَّا على وجه التَّفصيل: فما يأتي المُبْطلون بمثلٍ يقدحون فيه بالحقِّ إلَّا أبطله اللهُ، وذَكَر من البراهين السَّمعيَّة والعقليَّة ما يبطله.

وقَدْ تَتبَّع العلماءُ الأعلام جميع ما أورده المُبْطلون مسألةً مسألةً، فَوضَّحوا بطلانَها من جهة الدَّلالة الشَّرعيَّة السَّمعيَّة، ومن جهة الدَّلالة العقليَّة، وتَحدَّوْا أهل الباطل تَحدِّيًا صحيحًا أنَّهم لا يأتون بمثلٍ يَقْدحون فيه بالحقِّ إلَّا أبطلوه بالبراهين اليقينيَّة، والله أعلم.

---

(1) قال جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب:4].

(2) قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت:53].

﴿ الوجه الثمانون: [استحالة وجود إلهين]:

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:22]، وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:91].

وهذا برهانٌ عقليٌّ قاطعٌ صَوَّره الله لعُقول العقلاء، وأنَّه يدلُّ على رُبوبيَّة الله، ووحدانيَّته، وتَوحُّده، وتَفرُّده بالتَّدبير، فإنَّه لو فُرض مَعَهُ إلهٌ آخر؛ فإمَّا أَنْ يعارضه ويقاومه، وحينئذٍ فلا يخلو إمَّا أن يحصل مرادُ أحدهما، فيكون هو الرَّب، أو يمتنع مرادُ كلٍّ منهما، وهو محالٌ؛ لأنَّه يدلُّ على عجز كلٍّ منهما، أو يُوجد مُرَادُ الجميع، وهذا محالٌ؛ لأنَّه يَقْتضي عجزَ كلِّ واحدٍ منهما مع الانفراد لا مع الاجتماع، فتَعيَّن أنَّ المنفرد بالوحدانيَّة والخَلْق والتَّدْبير هو الله الواحد القَهَّار، فإذا كان ما ادَّعاه المشركون من مشاركة غير الله مع الله يقتضي في العقل المُحَال وخراب الوجود، فكيف يَكُون حال الدَّهْريِّين المَاديِّين الَّذين يَزعمون ويَفْتَرون أنَّ الطَّبيعة هي الَّتي أوجدت جميع الموجودات؛ ذواتِها وأفعالها وصورها، وهي مع ذلك لا حياة لَها، ولا علم، ولا قدرة، هل فوق هذا المُحَال محالٌ؟ وهل يتصوَّر أبلغ من هذا الضَّلال؟

﴿ الوجه الحادي والثمانون: [آيات الله المشهودة وآياته المسموعة مبطلة لكل شرك وإلحاد وجحود]:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:4]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد:2].

فهاتان الآيتان العظيمتان اللَّتان تجمعان آياتٍ كثيرةً، وبراهينَ قاطعةً تُوصِل إلى كمال العلم واليقين، وصِحَّة ما جاء به الأنبياءُ والمُرْسَلُون، وتُبْطل كلَّ شِركٍ وإلحادٍ وجُحود آياتِه المَشْهُودة وآياته المُسْمُوعة، فمَنْ تَأمَّل هذه المخلوقات وما احْتوَتْ عليه من التَّدابير الحكيمة، وتَفكَّر في آيات الله القرآنيَّة الَّتي فَصَّلها الله أحسنَ تفصيلٍ، وأحكم فيها الأحكام، وأصل الأُصُول المحكمة، وجعلها هدايةً عامةً، ورحمةً شاملةً، ودعوةً إلى كلِّ خيرٍ وصلاحٍ، وسببًا إلى كلِّ رشدٍ وهدى وفلاحٍ، عَلِم علمًا لا يُمْترى فيه أنَّ الَّذي دَبَّر المخلوقات، وفَصَّل الآيات، هو الرَّبُّ العظيم الَّذي تتضاءل عظمة المخلوقات بأَسْرها عند عظمته، وأنَّه المُتوحِّد بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة وسائر صفات الكمال، وأنَّ رُسُله صادقون مُصدَّقون، وأنَّ أعداء الرُّسُل في مكابرةٍ ومباهتاتٍ وعنادٍ، وفي غيٍّ وجهلٍ وضلالٍ.

ففي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحد

أفي الله شكٌّ فَاطِرِ السَّماوات والأرض على أَحْسِنِ خَلْقٍ، وأَبْدَعه، وأَجْمَعه لجميع المحاسن، وأَدلِّه على حكمةِ خالقِهِ، وعظمته، وكبريائه، ووحدانيَّته، فتبارك الله ربُّ العالمين.

وقَدْ ألزم اللهُ المُكذِّبين، وقَرَّرهم باعترافهم واعتراف الخَلْق كلِّهم بتَفرُّد الله بالخَلْق والتَّدْبير، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس:31]، إلى قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس:35].

كما أخبر أنَّ في إنزال القرآن يُتْلى عليهم كفايةً تامَّةً عن جميع البراهين، كفايةً لتقدير الحقِّ وإبطال كلِّ باطلٍ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:51].

﴿ الوجه الثاني والثمانون: [خروج الملحدين عن العقليات الصحيحة]:

نذكر كلامًا جامعًا مُفصَّلًا يعترف به كلُّ مَنْ له معقولٌ صحيحٌ في القول في المعقولات قاله شيخ الإسلام، به يَتَّضح غاية الاتِّضاح أنَّ جميع المُلْحِدين خرجوا عن العقليَّات الصَّحيحة، وأنَّه ليس معهم إلَّا مُجرَّد دعاوٍ باطلةٍ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعقول هو المعقول الصَّريح الَّذي يعرفه النَّاس بفِطَرهم الَّتي فُطِروا عليها من غير أن يَتلقَّاه بعضهم عن بعضٍ، كما يعلمون تَماثُل المتماثلين، واختلاف المختلفين، أعني: اختلاف التَّنوُّع لا اختلاف التَّضاد والتَّباين، فإنَّ لفظ الاختلاف يُرَاد به هذا وهذا، وهذه المعقولات في العلميَّات هي الَّتي ذمَّ الله مَنْ خالفها بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:10].

وأمَّا ما يُسمِّيه بعض النَّاس: «معقولات»، ويخالفه فيه كثيرٌ من العقلاء؛ فليس هذا هو العقليَّات الَّتي يجب لأجلها ردُّ الحِسِّ والسَّمع، ويَنْبني عليه عُلُوم بني آدم، بل المعقولات الصَّحيحة الدَّقيقة الخفيَّة تُردُّ إلى معقولاتٍ بَديهيَّةٍ أوليَّةٍ، بخلاف العقليَّات الصَّريحة، فإنَّ هذا معلومٌ بفطرة الله.

فإذا جاء فِي الحسِّ أو فِي الخبر الصَّحيح ما يظنُّ أنَّه يخالف ذلك، عَلِم أنَّه غلطٌ، فكلُّ مَنْ أخبر بِما يخالف صحيحَ المنقولِ أو صريحَ المعقولِ يعلم أنَّه

وَقَع له غلطٌ، وإنْ كان صادقًا فيما يشهده في الحسِّ الباطن أو الظَّاهر، لَكِنَّ الغَلَطَ وَقَعَ في ظَنِّه الفَاسِد المُخَالف لصريح العقل، لا في مُجرَّد الحسِّ، فإنَّ الحسَّ ليس فيه علمٌ بنفيٍ أو إثباتٍ.

والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- مَعْصُومون، لا يقولون على الله إلَّا الحقَّ[1]، ولا ينقلون عنه إلَّا الصِّدق، فمَنِ ادَّعى في أخبارهم ما يُنَاقِضُ صَرِيح المَعْقُول كان كاذبًا، بل لا بدَّ أن يَكُون ذلك المَعقول ليس بصريحٍ، أو ذلك المنقول غير صحيحٍ، فما عُلِم يَقينًا أنَّهم أَخْبَرُوا به، يَمتنع أن يَكُون في العقل ما يُنَاقِضُه، وما عُلِم يَقينًا أنَّ العَقْلَ حَكَم به، يمتنع أن يَكُون في أَخْبَارِهم ما يُنَاقِضُه». انتهى[2].

وهذا تفصيلٌ عظيمٌ يعترف به جميع أذكياء العقلاء المُنْصفين، ويَتحدَّى به المؤمنون (أهل العلم) كلَّ ملُحدٍ ومارقٍ يزعم خلاف ذلك في جميع المسائل، وقَدْ تكفَّل بِهذا التَّحدِّي على وجه التَّفصيل هذا الشَّيخُ الإمامُ في كتابه «العقل

(1) قال الله ﷻ عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف:104، 105].

وقال جل وعلا عن روحه وكلمته عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة:117].

وقال ﷻ عن حبيبه محمد ﷺ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 1- 4].

(2) انظر «الجواب الصحيح» (4/ 395).

والنَّقل»[1]، وأبطل كلَّ مسألةٍ أُصوليَّةٍ أو فُروعيَّةٍ زعم بعضُ المتحذلقين مُخالفَتها للعقل، وبَيَّن أنَّ العقل الصَّريح موافقٌ للنَّقْل الصَّحيح في جميع المسائل والدَّلائل.

والحمد لله على شَرْعه الكامل، وخَلْقِه الحَسَن؛ فإنَّه تَمَّت كلمةُ ربِّك صدقًا وعدلًا، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:122]، وأحسنُ منه حديثًا، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:50]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:7]، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:88].

❁ الوجه الثالث والثمانون: [الملحدون جاهلون معاندون]:

قَدْ تَقرَّر مِمَّا تقدَّم أنَّ أهل الجحود والإلحاد لَمْ يَصِلوا في عُلُومهم إلَّا إلى جهلٍ مُركَّبٍ، أو جهلٍ بسيطٍ، أو جحودٍ مع العناد؛ لأنَّ رؤساءهم وأساطينهم أهل الذَّكاء والفطنة الَّذين أَفْنَوا أوقاتَهم في هذه البحوث لَمْ يَصِلوا إلى يقينٍ تطمئنُّ له قُلوبُهم، بل إمَّا إلى حيرةٍ وارتيابٍ، وإمَّا إلى اختلافٍ كثيرٍ واضطرابٍ، وإمَّا إلى مكابرةٍ من هَؤُلَاءِ الأحزاب، كما عرف ذلك من مَقَالاتِهم، فإذا كان هَؤُلَاءِ هُمُ الرُّؤساء، فكيف بمُقلِّديهم الَّذين لَمْ يبلغوا عُشْر مِعْشَارهم في الذَّكَاء والفطنة والبحث، فهُمْ كما قال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ...﴾ [النور:39] إلى آخر الآيات.-

والمؤمنون بالله وكُتُبه ورُسُله على نورٍ من ربِّهم، ويقينٍ من إيمانِهم؛ حيث بَنَوْا عُلومَهم ومعارفَهم وإيمانَهم وأعمالَهم على الأُصُول الصَّحيحة الثَّابتة،

(1) أي: كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية طَيَّب اللهُ ثراه.

وهي نُصُوص الكُتُب الْمُنَزلة من السَّماء، ونُصُوص الأنبياء وآيات الله في الأنفس والآفاق والعُقُول السَّليمة والفِطَر المُسْتَقِيمة، ففازوا بخير الدُّنيا والآخرة، ورجع الآخرون بالصَّفقة الخاسرة.

فنسأل اللهَ الرَّبَّ الكريم أن يرزقنا علمًا ويقينًا وإيمانًا وطمأنينةً به وبذِكْره، وسُلوكًا للصِّراط المُسْتَقِيم المشتمل على العلم بالحقِّ، والعمل به، الموصل إلى كلِّ خيرٍ، وألَّا يُزِيغ قُلوبَنا بعد إِذْ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمةً؛ إنَّه هو الوَهَّاب.

ونسأله ونرجوه أن ينصر دينَه، وكتابَه، ورُسلَه، وعبادَه المؤمنين، وأَنْ يُصلِّي على رسوله مُحمَّدٍ ﷺ أفضلَ صلاةٍ وأزكاها وأتمَّها، ويُسلِّم عليه تسليمًا كثيرًا، هو وجميع الأنبياء والمرسلين، ومَنْ تَبِعَهمْ من طبقات المؤمنين، والحمد لله الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ، وتَحْصُل البَرَكَاتُ[1].

قال ذلك وكتبه

العبد الفقير إلى الله

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

وذلك في 14 رجب سنة 1372هـ.

---

(1) وكان الفَرَاغُ مِن تَحقيقِ هذا السِّفْر العَظيم النَّافع بإذن الله ﷻ عَصْر يوم الخَمْيس 2 ذو القَعدة سنة 1434هـ، الموافق 28 أغسطس 2014م.

أبو عبد الرحمن

عراقي حامد

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

مقدمة التحقيق 3

ترجمة العلامة الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ 7

مقدمة المؤلف 14

الوجه الأول: كلامهم أشبه بكلام الجهلة والضلال 17

الوجه الثاني: في آثار الأنبياء والمرسلين غناء عن كلام هؤلاء 19

الوجه الثالث: أرسطو وذويه في العلم الإلهي أقل الناس نصيبًا في معرفة العلم الإلهي 19

الوجه الرابع: فساد قوله: «فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»؟ 20

الوجه الخامس: وجوب التصديق بما أخبر به الرسول 22

الوجه السادس: الوصية باستحداث فطرة أخرى مخالفة لما بعث الله به رسله ... 23

الوجه السابع: وصية أرسطو تتضمن محو العلوم والمعارف والإيمان 23

الوجه الثامن: بطلان هذا الكلام شرعًا وعقلًا 26

الوجه التاسع: عودة هذا الأصل إلى محو ما في القلوب من كل علم 27

الوجه العاشر: أيهما أولى؟ 28

الوجه الحادي عشر: معاندتهم هؤلاء لله أعظم معاندة 29

الوجه الثاني عشر: محو العلوم الصحيحة من القلوب غير ممكن 30

obeikandl.com

الوجه الثالث عشر: المقصود من هذا الأصل: الكفر والانحلال 31
الوجه الرابع عشر: الله لا يحب الجهل، ولا الشك 32
الوجه الخامس عشر: الحق يمحق الباطل 33
الوجه السادس عشر: الأمور اليقينية يستحيل أن تقدح فيها الشبهات 33
الوجه السابع عشر: مناط السعادة فيما جاءت به الرسل 34
الوجه الثامن عشر: الرسل جاؤوا لمحق ما ينافي الإيمان 35
الوجه التاسع عشر: الإلحاد جحد بقضاء الله وقدره 36
الوجه العشرون: حصر الملحدين العلوم في الحواس 37
الوجه الحادي والعشرون: معاندة الملحدين لله ورسله 39
الوجه الثاني والعشرون: أصلهم الباطل جرهم إلى إبطال الوحي والمعاد 41
الوجه الثالث والعشرون: العلوم الحسية قطرة من بحر علوم الرسل 41
الوجه الرابع والعشرون: زعمهم أن الرجوع إلى الماضي رجعية 43
الوجه الخامس والعشرون: لا عاصم من الفوضوية والشهوات إلا بما جاءت به الرسل 45
الوجه السادس والعشرون: أخبار الرسل الغيبية موجودة ثابتة 47
الوجه السابع والعشرون: كفار اليهود والنصارى أعلم من الملحدين بالأمور الإلهية 50
الوجه الثامن والعشرون: طرق العلوم اليقينية كثيرة 53
الوجه التاسع والعشرون: آيات الرسل حسية شاهدتها الأمم 55
الوجه الثلاثون: الطبيعة لا شعور لها، فكيف اكون خالقة؟! 56
الوجه الحادي والثلاثون: علوم الملاحدة عرضة للتغيير 57

obeikandl.com

الوجه الثاني والثلاثون: إنكار ما جاءت به الرسل مكابرة 57
الوجه الثالث والثلاثون: شهود العقول بمحاسن الشريعة 58
الوجه الرابع والثلاثون: أصل بلاء الملحدين 61
الوجه الخامس والثلاثون: حصر الملاحدة مداركهم في الحياة الدنيا 62
الوجه السادس والثلاثون: قوة ارتباط أدلة الدين بمدلولاتها 65
الوجه السابع والثلاثون: وجود الله أظهر الموجودات 68
الوجه الثامن والثلاثون: إنكار وجود الله إساءة إلى المجتمع 71
الوجه التاسع والثلاثون: بطلان دعوى المصادفة 76
الوجه الأربعون: من الخيانة قطع علماء الطبيعة بحوثهم بالله 78
الوجه الحادي والأربعون: شهادة الله والقرآن لنبينا محمد ﷺ 78
الوجه الثاني والأربعون: الإلحاد مانع من الشكر والصبر 81
الوجه الثالث والأربعون: التقدم العلمي مدمر في حال بعده عن الدين 82
الوجه الرابع والأربعون: الماديون عاجزون عن حل مشاكل الحياة 83
الوجه الخامس والأربعون: بطلان وصف إلحادهم بأنه تقدم ورقي 86
الوجه السادس والأربعون: محال أن تهذب علوم المادة المحضة النفوس 88
الوجه السابع والأربعون: القرآن أكبر البراهين على صدق خاتم المرسلين 89
الوجه الثامن والأربعون: كمال أخلاق النبي ﷺ وتأييده بالمعجزات دليل على صدقه 91
الوجه التاسع والأربعون: الإسلام دين الفطرة والحكمة 92
الوجه الخمسون: شريعة النبي ﷺ أكبر دليل على أن ما جاء به هو الحق 93

obeikandl.com

الوجه الحادي والخمسون: الموازنة بين سيرة المؤمنين وسيرة الملحدين 94

الوجه الثاني والخمسون: نبوءة النبي الأمين ﷺ بما سيكون من الملحدين 96

الوجه الثالث والخمسون: علم البشر مهما بلغ كقطرة من بحر علم الله 97

الوجه الرابع والخمسون: ما الذي يحمل الملاحدة على مناهجهم الباطلة؟ 99

الوجه الخامس والخمسون: نسبة دقائق صنع الله إلى المصادفة العمياء من أكبر الحماقات 102

الوجه السادس والخمسون: نصر الله لرسله، وعقاب مخالفيهم دليل على صدقهم 104

الوجه السابع والخمسون: الرد على شبهة الملحدين: لو كان الدين حقا لما كان أتباعه بهذا الضعف والهوان! 108

الوجه الثامن والخمسون: انحراف الخلق وانحلال أخلاقهم بسبب الإلحاد 110

الوجه التاسع والخمسون: سعادة المجتمع لا تكون إلا بسنن الإسلام وأنظمته ... 112

الوجه الستون: العناد والكبر يؤديان للكفر 114

الوجه الحادي والستون: صحة العقل في أن يدرك الحق، ويعمل به 115

الوجه الثاني والستون: كل أنواع الباطل قد قال بها من سبق 116

الوجه الثالث والستون: عقيدة الكمال لله مقررة في الفطر والعقول 117

الوجه الرابع والستون: كل دليل يبطل به الشرك هو برهان على بطلان الإلحاد 119

الوجه الخامس والستون: البراهين على رسالة الرسل مبطلة لأقوال الملحدين .. 120

الوجه السادس والستون: البر اهين على البعث هادمة لأقوال الملحدين 120

الوجه السابع والستون: كمال الرسول محمد ﷺ دليل على صدقه 122

الوجه الثامن والستون: حرص المحتلين على إفساد التعليم 123

obeikandl.com

الوجه التاسع والستون: الإسلام يقيم الدين والدولة 125
الوجه السبعون: من أكبر أسباب الإلحاد: الإعراض عن علوم الدين 125
الوجه الحادي والسبعون: الملحدون يعارضون عقول العقلاء وعلوم الأنبياء 127
الوجه الثاني والسبعون: أهل الإلحاد ليس لهم عقل ولا دين 129
الوجه الثالث والسبعون: غرض الملحدين تنحية الدين عن المتعلمين 131
الوجه الرابع والسبعون: الله أعظم من أن يجحد 133
الوجه الخامس والسبعون: العقل مصدق للشرع 134
الوجه السادس والسبعون: وجوب طاعة الرسول ﷺ لثبوت صدقه 139
الوجه السابع والسبعون: جميع الأديان متفقة على إثبات ربوبية الله 140
الوجه الثامن والسبعون: ضرب الله الأمثال لتقرير التوحيد والرسالة والمعاد.... 141
الوجه التاسع والسبعون: الله يقول الحق، ويحكم بالعدل، ويهدي السبيل 143
الوجه الثمانون: استحالة وجود إلهين 145
الوجه الحادي والثمانون: آيات الله المشهودة وآياته المسموعة مبطلة لكل شرك وإلحاد وجحود 145
الوجه الثاني والثمانون: خروج الملحدين عن العقليات الصحيحة 147
الوجه الثالث والثمانون: الملحدون جاهلون معاندون 149
فهرس الموضوعات 153

obeikandl.com